الورقة الحمراء

مجموعة قصصية

صابر جمعة

إهـــداء

إلي الروح . إلي المادة

إلي العقل والوجدان

إلي كل المشاعر النبيلة

إلي كل من يضع كتابي بين هؤلاء

رجل لا يعرف أبناءه

جلست على مقعد مدير المدرسة . أترقب رحيل الشمس . هممت واقفاً . أنظر من النافذة الزجاجية . أصابني الدوار . فلم يكن طريقاً واحداً يمتد أمامي . ولم أكن أنا قد خطوت أولى خطواتي بعد . ولم أدر لماذا تذكرت هذا العجوز الذي طبع وجه الصحراء بأصابع قدميه على مدار قرن من الزمان .. يومها صافحته . اهتزت أصابعي وسط راحته ذات العمر الطويل . أذنت له بالجلوس . هداني ابتسامة تحجب وراءها فضاءاً واسعاً . سألته متعجلاً :- آلك أولاد هنا في المدرسة ؟ أجاب بعد مسحه للمكان بعينيه الصغيرتين :- لي أولاد ، لكن . لا أعرفهم . فزعت من مقعدي في هدوء ، وكلي دهشة . حتى لا يلحظ الرجل . هممت أن أعدو صوب وصيد الباب . نفسي تناوشني ، هذا رجل مجنون ، ولابد من حدوث كارثة . وطنت العزم بطرده . وأوشكت على تنفيذ الفكرة . لكن لساني لم يطاوعني . دفعني فضولي أن أجاريه في تساؤلاتي :- كيف لا تعرف أولادك ؟!! . اعتدل الرجل في مقعده . رمقني بنظره . كأنه يقول لي " يا جاهل لا تتسرع ، حتى أشرح لك الحقيقة . تاريخي يا بني طويل على هذه الأرض الذهبية . حياتي البدوية منقوشة على ثلاثة أرباع مساحة سيناء . جوالاً ورحالاً . يرافقني . خيمتي وإبلي وغنمي . تشاركني زوجتي الجديدة مع كل مكان جديد .. وثبت أصابعه فوق شاربه تبرمه . وكان ميعاد الصقر قد حان للوقوف عليه . حاول أن يعتدل في جلسته ، لكن الزمن قوض ظهره في انحناءة يصعب عليه بسطها . لمعت الدموع في عينيه . استرسل في القول .. " تزوجت عشر نساء ... ندت مني شهقة مكتومة . جاهدت نفسي في إجهاضها ... واصل الرجل ودوائر عينيه السوداوين يتأرجحان . كأنه يدلو بدلو في بئر عميق ... عاهدت نفسي أن احتفظ بأربع زوجات . المطلقات يعشن في زورق أشقائهن . الخال والدكما تعلم . علمت أن لي أولاد هنا في المدرسة الإعدادية . يتعلمون . ساعدني يا أستاذ . أود رؤيتهم ... سألته في دهشة :- اسمك بالكامل .. – عودة سليم سالم .. عيني تمسح قائمة الفصول . سبعة تلاميذ يحملون اسم العجوز .. سألته في استنكار :- " هل ذهبت إلى مدارس أخرى تستفسر عن وجود أولادك ؟! . أجاب في امتعاض .. – ذهبت إلى خمس مدارس . عثرت على عشرة أولاد ، وسوف أدرج بقية المدارس الأخرى في أيام لاحقة ... ازدردت ريقي بعد إحساسي بجفاف حلقي . فما سمعته كاد يوقف أنفاسي ... قلت له داعياً :- أعطاك الله المزيد من الصحة حتى تنتهي من رحلتك القادمة . وتعثر على بذورك التي كانت داخلك محفوظة .وعندما أخرجتها أشقتك وراءها .. انتبهت إلى صفعة الباب ، فأسرعت إلى النافذة . وقبل جذب ضلفتيها أشار لي زميلي بأن المدرسة ستقوم برحلة . ابتسمت له وأغلقت النافذة وتراجعت إلى الخلف أحجم خطواتي فوق موازين بدت أمام عيني هلامية .

" **تمت** "

الورقـة الحمـراء

جلسـت على مجموعة من عروق خشـبية . إرتاحت عيني لردائها الأبيض وهتفت لانبسـاق نخلة تتكئ على زعافها في إصرار . وبعض من ثمار البندورة تضوي بجوارها لتشجعها على الاستمرار . المرضي يقبلون ويتزاحمون في الطرقة الممتدة التي خصـــصـــت لتعذيبهم . يوجهون أبواق آذانهم ناحية الباب المغلق . يدعون الله بسرعة الخلاص وأنا منـهم . ابتسمت متأففاً عندما جبت العالم كله دون أن أراه . رحلات كثيرة لم تقنع بها عيني . جميع الحضـارات تعيش داخلي منذ تخرجي . المسـافة بيني وبينـها لا تنتهي . قبل وداعها ، صـببت جزءاً من تكوينـها على الشـاطئ المقابل لعروس البحر . أخذتها الأمواج إلي هناك . ارتشفها آخرون وتفوقوا على أصحابها وأنا منـهم . لقنت طلابي ما تلقنته أنا . سحبت من تحت قدمي سجادة تخصصي . تقيأ طلابي ما شحنتهم به قبل بداية المشوار . استسلمت للقمة عيش جافة وقفت في حلقي . أصـرت على البقاء – رحت أضـرب بيدي وقدمي كالغريق . فشـلت في العثور على سفينة النجاة . اعتليت قمة الجبل أنتظر الطوفان . رنا إلي أذني استغاثة أب لابنه يدعوه للنزول فوراً . لوح له بعناده . وعندما عزمت على الهبوط . أحاطتني سـياج وكبلني قيود هو الذي صـنعها ، قائدي الجديد . كلما خرجت لأستنشق عبيراً نقياً . ناداني ونظر في ساعته وهز رأسه ورماني بالقصور . برقت في ذهني ومضــــة الخلاص . أخذت أوراق تحويلي إلي القومســـيون الطبي . تقوس قدماي واختلال وظيفتهما دفعني لإنشـاء كبري . قذف اسـمي من بين الرؤوس . تلقفته وامتثلت أمام الطبيب الذي صــدمني بقوله " إبقي تعالي التأمين " هنا عرفت أنه صـــنع مني كره .. صـــهيل الأمس مازلت أسـمعه . عندما أبلغني بقوله " إبقي تعالي القومسـيون " لحظتئذ أدركت مقصـده . خرجت وأنا أداعب الورقة الحمراء الوحيدة . ووداعها قبل إيداعها ليلاً في عيادته .

" **تمت** "

مع سبق الإصرار

لم يلق انتباهاً للذين ينتظرونه في الطابور . عبرهم ووقف أمام المدير يخبره بسـرعة إبلاغ الشـرطة . إبتسم المدير قائلاً : اطلع بالمستخبي دا انت أول مرة تعملها .. لم يصدق سعيد جلهوم ما سمعه من هراء وما رآه من ابتسامة عارضة لم يتعود عليها .. لم ينبث ببنت شفه شعر بالدوار . معظم الظواهر الطبيعية اتخذت من رأســه مسكناً تبخرت جميعها ولم يبق سـوي العاصـفة . رجع بذاكرته إلي عصـر الإقطاع والخلية السـرية وقطع أوردة سـبعين عاماً . ذهب ببصـيرته تجاه الدعوة في الخفاء . ابتسـم عندما رأي رؤوس الكفار تتدحرج أمام أقدام أحد العمرين . عشق السرية فهي الكبرى لتحديد الأماني . انزوي داخل الحجرة يعقد المقارنات . من لحظة تعيينه صــرافاً والاقطاع لاصــقاً براتبه نصــف حقوقه تتبخر ، في نهاية كل شـهر تحت مسميات لا يعرف لها أصولاً . والنصف الآخر رغم انصرام عشرين عاماً لم يستطع أن يدخر منه شيئاً لنصفه الآخر . فصل لأهل خطيبته قميصاً من الصبر والسلوان . سـألوه . إلي متي ؟! احتج لســانه عن البوح بنتائج اجتماعات عقدها . وصـل إلي مرحلة الانفجار . لولا بروز رأس القرار . أتي به وتصفحه . وجد ما أراد . تحزم ورقص أمامه . تواعدا أمام خزينة البنك . ســـاعة قيام الثورة ســـلب كل حقوق الواقفين في الطابور . داخل الحقيبة الجلدية أرقدهم ، وتحت الثري أوأدهم . عير على الذين ينتظرونه على أحر من الجمر . ضـــغط على عاطفة الرحمة . انطلق يعلن في صــراحة أمام مديره . انه في انتظار الســجان . وحتى قبيل القبض عليه كانوا ومازالوا غير مصــدقين لما حدث . صــرخوا في وجهه :– الأفواه وراءنا والبطون تحوطنا والديون في رقابنا . لماذا تغدر بنا ؟! .. لم يسمع عتابهم . قال لنفسه : " الثمن حفنة من ظلام . ستتلاشى بعد أيام "

" **تمت** "

قرار لم يتم

بجوار البوابة . جلسـت الأم القرفصـاء . تتذكر زوجها الأول وهو محمولاً على الأعناق . تتسـاقط من لحمه وملابسه أجزاء من صديقه الذي داوم التطهر منه لكل صلواته . قدموها قرباناً داخل حقل تجارب لمدة عام . لم تجد ســوي القحط . آثار قرون علقت بصــفحاتها . أوقعوها تحت براثن زير نســاء . أنجبت منه الجمال والشــقاء . ثم تركها في الميدان بين الجدران تبحث عن عنوان . لم تحصـــد غير الحيرة . غرقت في جبالها بين أســوان والعريش . دلوها أولاد الحلال على اختراع صــغير ســهل لها اقتراب المســـافة . وحفنة من أوراق انتزعتها بالقانون . وبينما هي في شــــرودها . لمحت ابنتها . والدائرة مازالت تميد بها . تتعلق بأهدابها علامات اســتفهام عجفاء . إحتضــنتها وهي تبث في أرجاء الفضاء نظراتها لتتخذ قرارها .

" تمت "

الحائرة

ما كادت سامية تلقي بجعبة ما حدث في حجر أمها حتى انطلقت صباح اليوم التالي كالصاروخ إلي المدرسة تكشف غطاء حياتها دون حياء . قرأت في أذهان الجميع وعيونهم مساحة من عتمة في حاجة إلي استفسار . لكنها تراجعت واكتفت بقولها " فيه مشاكل بيني وبين أبيها . ولو بنتي جر لها حاجة انتم المسئولين " . راحت الابنة تقفز هنا وهناك فوق سنواتها العشر . تذكرت نصيحة أمها " لو أبوكي جالك المدرسة . إوعي تطلعي معاه أحسن يدبحك " لم تشأ الأم أن تعكر ذهن ابنتها الأبيض بأحداث ماضيها التي تموجت بعيداً عن النجاح وقريباً من الفشل . وجد أبوها نفسه محاصراً داخل دائرة . حوائطها مجموعات متراصة من رئات بكر . أحس باختناق . زم شفتيه ، احتجاجاً لانفراج جميع الشفاه . تحركت الدائرة فوق السيقان الخضراء . تعلن بداية النهاية . أخرج بطاقته لتكون الحكم هددوه بالقتل لو زار المكان مرة أخرى . خرج وهو يدس بطاقته ويتلفت وراءه . وقف هنيهة عند البوابة . أخرج البطاقة مرة أخرى ليتأكد أنه ليس ممروراً . حدث نفسه " هي ابنتي . لماذا أنكرتني ؟ رغم أن اسمها يقودني ؟ .

" تمت "

البطاقة الثانية

شـد صـدره بعد التهامه كمية كبيرة من هواء الصـباح . اخترق ببصـره جدران منزله الحكومي . جذب رسالته التي سطرها طوال رحلته . نظر فيها . وجد أولاده العشرة يحيونه . ابتسم عندما تذكر صرخات مديره اليومية كلما رآه . قال لنفسه " المرتب مش مكفيني . والولية كل سنة تولد . الورادي سدت على كل المنافذ " . مسح بكفه فوق صلعته . وجد خطاً طولياً بارزاً عمره أكثر من أربعين عاماً . ألم الضربة مازال يوخذه . ويذكره بفشـــله في التعليم والتحاقه بورشـــة الأســـطي حنفي الونش . عندما تنقل بين إطارات الزمن . صـمم أن يجلس أمام إحداها . عندما تمرد فوق النقالة . سـمع عويلاً أشـرخ ما تبقي من أمل داخله . لم يصـدق أن رأســه انغلقت مرة أخرى . فتح قلبه من جديد لحياة كاد يفقدها . يشـد قدم ويؤخر الأخرى . اندفاعه بدون وعي كاد يفقده وظيفته أمام عجلة القيادة الميري . ضـغط على زر تحقيق الهدف حصر مفاتيح السعادة في أيدي الآخرين . فتح كفه . أبصر خطوطاً عرضية وطولية . لمح فنجاناً مقلوباً وامرأة تنبأه في خبث عن أفراح معقودة تنتظره . ثم أشارت إليه في حزن عن مأساة مختبئة تحت أظافره . لم يصـــدقها في كل مرة يؤذن ويكبر في أذن وليده الجديد . تعاقد على أســـرة وملاءات بيضاء . إشارة البدء لابد أن تتوج بمعايير جوفاء . أجمل اللحظات يستشعرها من أحلام يراها بين جفون أولاده . كل عام تتســـرب من بين شـــفتيه حزمة من ابتســـامات ويحل محلها كومة من مسئوليات ، بحث في فراشهم وتحت أرجلهم ، عن قارب يحقق له أمانيه . أخيراً وجد الحل مغلفاً داخل أرض لم يطأها بشـر . حصـر أيام الأسـبوع التي يعقد فيها الأسـواق بالقرى والمدن المجاورة . صـوت الماشية يبعث داخله موسيقي ينسجم عند سماع مقاطعها . بعد توصيل الموظفين إلي عملهم . يقوم بحمل الأغنام نظير أجور تعينه على ما ينوء به ظهره . أصر على إبعاد أولاده عن الطريق الذي سلكه في صباه . عرج بهم شطر محراب لم يره . هدده مديره . لم يعره انتباهاً . شبكات الخير رمت بفتحاتها فوق أكشـاك المرور . أبلـغ المدير حراسـها . طلب منه أول مضـيق البطاقة العائلية والرخصـة . فوجئ ببطاقتين وازدحام بين كفيه . طفرت من الضـابط دمعة . أعطاه الأوراق بسرعة قبل ظهور بطاقة أخرى . .

" تمـت "

الملك

ابتسمت هند لتذكرها قرار أبيها واعتدلت لترضع وليدها . حدثت نفسها : " هو الآن يجلس على حجري . وغداً سيكون فوق كرسي العرش ، وستلتف حوله الرعية وأنا سيكون لي شأن وهوية .. أبحرت بذاكرتها إلي الوراء ، لتجني حصيلة سويعات كادت تقضي على مكانها ، لولا عناية الله التي أنقذتها . تعرضت للذبح لولا الكبش . سامحك الله يا فاكه . أتتهمني في شرفي ، وأنا لا أملك سواه؟! أجيء إليك شوقاً أبحث عنك في الساحة الخالية لتأخرك عن موعدك المعلوم ، كنت حينئذ بعيداً ، وعندما اقتربت كنت قد وليت ظهري منصرفة . ناديت على . نظرت ورائي ، فإذ بك تبدل نظراتك بيني وبين الغريب الجالس على مقربة من مكان وجودي . لم تسألني . ولم تنتظر . قذفتني بحجر لا يعرف سوي لغة العنف . شعرت بقسوته من جراء دفعة لا أستحقها . قسوة قلبك لا أدري من أين أتيت بها ؟!! رغم التحام جسدينا من قبل . قسوة مدخرة فجرتها في وجهي دفعة واحدةً . والحمد لله أنك لم تجزئها . فالحجر الذي قذفته فجر أنهاراً كثيرة داخلي . ثم تشقق وانسابت منه المياه الراكدة ، وبعدها هبط منحنياً أمام عزيمتي التي انتشلتها من أبي والكاهن . لم يبخل على أحد بالنصيحة . وأولهم أبي ، الذي رسم خطة لا تخر المياه . عارضته بشدة ، ان أخفق الكاهن ستكون سيرتي بدون جنسية . طمأنني بقوله الذي أردده ما حييت كلما خلوت بنفسي . وجلست وسط نساء كثيرات . واقترب مني الكاهن وبشرني . بعدها هرولت تعوي ورائي تطلب السماح . وأنا لا أملك سوي أن أصب عليك زفراتي التي كادت تحرقني . وتزوجت من أبي سفيان . وجاء موعد الولادة . وازدحمت الدار بالنسوة . فاليوم ميلاده . ولابد من الالتفاف حولي لمشاهدة الملك وهو يصرخ . الكاهن هو المتسبب في طيران النعاس من عيونهن . وازداد رفض الملك . وعلمت القرية والمنطقة بالكامل بالحرب الدائرة . علق الرجال الزينات ، وأخرجوا ما ادخروا من أخشاب لصناعة كرسي العرش الجديد ، وهرعت النساء يقدمن الولاء والطاعة لملكهن الوليد . تسبقهن الزغاريد . ورحت أنا أردد قرار أبي وانعكاسه على كلما خلوت بنفسي " أنا يا بنتي مش هافية . أنا هاخبي حبة قمح في فرش المهر . وهاسأله الأول على مكانهم . لو عرفت هاخليه يحل القضية " واقترب مني الكاهن وبشرني " أنت لست زانية ، وستلدين ملكاً اسمه معاوية " .

" تمت "

صاحب المنديل

تجمد النعمان مكانه قائلاً سامحني يا سيدي . دنياي كثقب إبره . لا يوجد فيها مكان لثقب جديد . وما ترتق من جسـدي مع الزمن كفيل بأن يتسـاقط دون أدني مقاومة . أنا لا أطيق حرارة أغسـطس . ولا هبو نار عود ثقاب . كيف بالله عليك تريد ذبحي مرتين ؟!! تخيل يوم الموقف العظيم . نظر لأعضـائه وهي تفشي بأسراره . تذكر التفاحة التي أخرجت أدم من الجنة وهاهي تفاحته تسعي لاخراجه من رحمة الله .. منذ أسـبوع مضـي قرصـه الجوع . قذفه حظه بجوارها . ضـعف أمامها . إلتهمها ليطفئ عويل معدته . وهاهو الآن يقف محزوناً . متخذاً من رأسه وسادة لكلتا يديه . صراخه يتردد صداه من جوفه حتى أصغر إصبع في قدمه . سقطت دموعه عندما اقترب يطلب العفو للمرة الثانية . أصر البستـاني على قراره :– لن أسـامحك . ولن آخذ ثمنها .. نزلت عليه كالصـاعقة . ترنح مكانه كالذبيحة وسـقط مغشـياً عليه . اقترب منه البسـتاني يتلمس مناطق الأمل ، وعيون مسـتقبل يريد تفجيرها ليهديها إلي ابنته الوحيدة . فتح النعمان عينيه . أصابه الذهول . لم ينبث ببنت شفه . نظر إلي السماء .. أضاف البسـتاني أنا ممكن أسـامحك ، لكن لي شـرط .. أشـرط زي ما انت عايز .. زحفت النظارة على وجه النعمان . وتملكته فرحة سـمكة أفلتت من يد صـائدها . واقترب يسـمع .. تتزوج ابنتي الوحيدة فهي خرساء وطرشاء ومشلولة ..

ترنح النعمان كصيد تم أسره من جديد . قائلاً : اعفني يا سيدي من هذه المهمة . أنا رجل فقير ، لا أمتلك قوت يومي .. طال صمت البستاني . ولم ير النعمان سوي الرضوخ قائلاً لنفسـه " متاعب هذه الزيجة أهون على من عذاب يوم القيامة " .

– أوافق يا سيدي .

بعد إتمام مراسم الزواج . أشـار البسـتاني إلي حجرة علوية . قائلاً : عروسـتك هناك .. إتجه النعمان متكاسـلاً إلي المكان . وفي لحظة وصـوله هرع إلي الخلف ماسـحاً الدرج ، حتى وصـل إلي البسـتاني قائلاً : أنا غلطت في المكان .. – أنت لم تخطيء .

صعد النعمان مسرعاً متلهفاً شاكراً ، ليقطف تفاحة رآها تميل على غصنها بجوار النافذة .

" تمت "

شعرة معاوية

قذفه وانصــرف فاقداً الأمل . كل يوم يقطع الطريق ذهاباً وإياباً . عيناه تتجول في المســاحة الممتدة أمامه . تفسح الطريق لقدميه . يصعد التل ثم يهبط ليعبر الجسر الموصل إلي بوابته الخضراء . وفي العودة يرفع رأسه إلي السماء ليري طيوراً ضلت الطريق . وذئاب تعوي أمام مقابر خالية من الموتى . تذكر شــعرة معاوية . جاء بمثلها ، وعبرها إلي اليمن ، ليجد نفســه على ســاحل البحر مقلوباً ومن جوفه ينطلق الفناء هارباً . ألبسوه رداء الشجاعة . وأرسلوا معه قارباً يعينه على عبور شبه الجزيرة . حاول جمع شـتات نفســه ، ليضـبط المســافة بين المجدافين وعمقهما ومقدار توازنهما . بيد أنه فتح عينيه ليري الملاءة البيضاء بدلاً من صفحة المياه . والقارب وقد تحول إلي جزء صلب غير قادر على مخر المياه . وظل يبحث عن المجدافين ولا مجيب . حتى جاءه نبأ العودة إلي الديار . هب واقفاً يبعثر الأشياء حتى وجدهما . أمسكهما بقوة وظل يضرب ويضرب حتى خارت قواه . تواري وراء صخرة لينظم أنفاسه ثم أعاد الكرة . حتى رأي لون الفرحة في الفضاء . صعد فوق التل . حاول أن يبتعد عن كل الصــخور . مد يده ليتناول حلمه " جهز أوراقك للســفارة ، طالبين عمال ســكة حديد " انتهي من التجهيز ، ثم طار إلي هناك . لم يصدق . فقد الأمل في الوصول إلي النافذة . نام تحت الشجرة . ولما اســتيقظ لم يجد أحداً . حتى النافذة أعطت له ظهرها . رفع الأوراق وكاد يهديها إلي الفضـــاء لتكون حلية حول الفرحة التي شارك في صنعها . أحس بحافة سكين تقترب من رقبته . إنحني ليجد نفسه ممتطياً ظهر كبش يقوده نحو الفتحة الســفلية لباب الانتظار . مد يده وقذف بأوراقه . وفي الصــباح رأي الشمس باذغة . ولم يجن عليه الليل إلا وهو في حجر إسماعيل .

" **تمت** "

على الطريق

عاد من الخارج ليجد خوارج .. بجوار الشجرة جلس شاخصاً ببصره نحو السماء . دقات قلبه خرجت عن النظام . ذبذبات عقله كادت تتوقف . ناجي خالقه . " أنا يا ربي أقدمت على الخير طمعاً في رحمتك . لكن قسوة ما حصدته أكبر من طاقتي !! لابد وأن هناك حكمة لا أعلمها . أنا مشتاق لرؤية ابني وزوجتي . لكن ما أنا فيه الآن . يمنعني من الرحيل . كل ما حدث أنني رأيتها امرأة سبيل . تعدو نحو الخلاص . لا معين معها ، ســـوي جنينها الذي يطرق جدار بطنها في عنف . رغم أنه لم يتعلم أساليب الحروب . غزوه إلي دنياك الواسعة سيبدأ بعد لحظة أو بعض لحظات . مازالت أمه تعاني من الخلاص . وهو مســـتمر في التخلص من قبره المظلم . ورحت أنا آخذ بيدها حتى أدخلتها هذا المبني الأبيض ذو الشعار الهلالي الأحمر . وعند انطلاق صرخته طلبوا مني هويتي . لم أشك لحظة بأن ما حدث تطابق مع رغبة أمه .. ســرت أتخبط بين جدران المبني . وجذور الأشـــجار وفروعها . وداخلي جذوة نار لم أتحكم في خمدها . لم يكن هناك ثمة فرق بيني وبين الذين يحترقون داخل التلفاز . أحسست بأني أشاركهم التخلص أو الخلاص . أخرجت خريطة الطريق من جعبتي لأول مرة ، استرشد بها بدلاً من البوصـــلة التي عفا عليها الزمن . دلتني إلي شـــارع طويل أجهله . لكن آثرت أن أغامر حتى وصلت إلي طبيب . ما إن رأيته ، حتى شـعرت بالأمان . طلب مني ارتداء ملابس حارس حديقة الحيوان . تعجبت خاصـــة عندما رأيت الخضـر وهو يخرق السـفينة . طلب مني أن أسـوق له جميع الحيوانات داخل أنبوب زجاجي . لم أجد سوي صحوة ضمير ، أنا في غني عنها الآن . كل ما أريده . شـــهادة تفيد بعدم صـــلاحيتي لأقدمها للذين دســوا اســمي أمام الضـيف الجديد دون علمه وعلمي . أخرصـتني المفاجأة . وهوى على يافوخي صـبر القبور ، واسـترجعت خيبة أملي التي عشـشـت داخل بيتي أثناء عملي بالخارج . واجهتها . دافعت بشـراســـة عن شــرفها . زدت من ضـــغطي على منابع الاعتراف . رمتني بالسبعة العجاف . رأيت الهزيمة تتكور داخلي ، وتوزع ومضاتها بين الضيف الجديد الســاكن وســط الشـعار الهلالي ، وبين الماثل أمامي خلف حجاب الخيانة . فذهبت ببصـيرتي ناحية جسور التواصل . أبحث عن آخر جديد .

" **تمت** "

الساحة الخالية

التقطت حجراً وجاءت بمطرقة حديدية لتضـرب الجميع على رؤوســهم وتسـد آذانهم ببعضــاً من التي طحنتها . شمرت ساعديها لتبني جسوراً تتواري خلفها . لكن الرياح وجهت شراع تصرفاتها إلي طريق مسـدود ، فوقفت داخل الحلقة ترقص أمام ذهول بعض الذين جاءوا ليشـاركوها فرحتها . ولما جلسـت بجوار الذي وقع في شـراكها . تذكرت الفخ الذي نصـبته لممارسـة هوايتها . جاءت بالسـتائر وجدلتها حتى لامست الأرض ظناً منها أنها ستواري كل الأشـياء . في حديقة الخالدين واجهت صيدها الأول . تجولت معه بين الأشـجار . عرضـت عليه عنوانها وأقصـر طريق إلي حارتها التي لم تحدد . رآها ابن عمها ، تلعثمت وانزوت بين أوراق شـجرة عتيدة .. في اليوم التالي . سـحبت صـيدها الثاني ، تلقنه دروسـاً في فن الغزل . عاتبته على نظره القصـير . الذي يمكنه من رؤيتها .. رآها ابن خالها . تقدم وجلس بينهما . سـألها عن هويته . أجابته بأن يظل بعيداً كما هو .. انصرفت ، ونشـر ما رآه عل كل الحبال الممتدة بجوار رقبتها . وعندما أحاطوها بكل الدلائل . أنكرت . انتبهت إلي عريسها وهو يتناول يدها وسط الحاضرين . تجولت بعينيها حول عيونهم . لمحت سياطاً تتحرك نحوها . أطبقت جفونها ، لتبدأ من جديد داخل ساحة خالية لم تتضح معالمها بعد .

" تمـت "

صبر بلا مسافات

جلست بجواره ترقبهم وترقبه وترقب نفسها . مرت على كل حروفها . من ألفها حتى يائها . عبرت من تحت ظلال أرقامها . وتوقفت عند الصفر . لم تجد له ظلاً . طيلة الست سنوات التي أعقبت الهزيمة وهي تلهث محاولة الصعود لرؤية المستحيل . صندوق عمرها يختزن بداخله أربعة وعشرين عاماً . رأتهم يتسابقون وسط ظلام امتد في خطوط دائرية . هنا قالت لنفسها " العملية باين عليها هاطول !! " . وجدت السلوى في أن تستعين شريط حياتها المجاور لشريط السكة الحديد الذي طالما يهتز كلما عبر عليه الجنود . لم يتحمل أبوها تحطيم الباب المفاجئ عليهما . لفظ أنفاسه وأسرعت هي مذعورة تبحث عن صدر أمها الراحلة . انكمشت وحبست أنفاسها . رأت جنود الاحتلال . وهم يتناولون نخب الانتصار بجوار جثة أبيها . وجدتهم وهم يبقرون أحشاء الصوان في وحشية . قلبوا كل الأشياء . ولم ينتبهوا لوجودها . بعد انصرافهم . انكفأت على صدر أبيها تبحث عن صوته وصوتها . أطلت من النافذة لتجد القبور وقد أفرغت ما بداخلها وتدعو آخرين للدخول فيها . فحصت بشرتهم ولغتهم . وجدتهم يرددون أسماء بلادهم . ويكتبون بنظراتهم أسماء ذويهم . سألت واستفسرت . عرفت أن لصوص الأرض اجتاحوا بلادها . بل إلي عقر دارها . جلست تبكي وحدتها . وفراق أعز الحبايب . لم تنس يوم فوزها في المعرض الذي أعدته المحافظة لتكريمها كأحسن طالبة في الفنون التشكيلية . علقت أحساسيها وتصوراتها أعلى النافذة . وتمتمت بالدعاء . هزت رأسها لتتأكد أنها يقظة . خاصة عندما تزوجت وأنجبت أبناء كثيرون . كلهم ذكور في بطن واحدة . وأنهوا تعليمهم . ووقفوا طابوراً ينتظرون ارتداء ملابس الجهاد . مرت عليها خمس سنوات عجاف تحلم في يقظتها تارة . وتستفيق من سنات ضالة . لا تعرف للزمان موعداً . طرق بابها أول الوافدين . دار حول مزارها . يبحث عن أرق القشور . وجدها صلبة . في العام الثاني . جاءها من الجنوب ابن خالها يطلب أقل المسافات . اكتشف شحاحته وقد ضربت بعنفوانها دون حياء . لم يكن للثالث نصيب في احتلالها . لا سيما عندما طلب منها مصاحبتها في رحلة خلوية . وجاء الرابع حاملاً العصيان والتمرد ، رغم ضيق المساحة المعدة . وخواء جيوبه التي لم تطرز بعد . هنا وقفت أمام المرآة . تبحث عن نفسها . لمحت عقدها الثالث باقي له شهران ويكتمل . صرخت في صمت . أطلت من النافذة وغاصت في قلب لوحتها . وأدارت مفتاح التلفاز . وصل إليها أزيز صدور تغلي . ومشاعر تجمدت . وألسنة تنادي باستعادة الأرض . قررت الخوض في أول مغامرة . وأسرت بذلك لإحدى جاراتها التي أخبرتها على الفور بأن طلبها موجود . وعند تحديد المقابلة . فوجئت بمسافات بعيدة . لم تمهلها الأيام لصناعة سفينة . رأت التنور . أسرعت تبحث عن قطعة من اليابس . أحست بدوران الأرض داخل رأسها . قلبت أحشاء التلفاز . قفز قلبها من محطته عند رؤيتها للجنود وهم يعبرون القناة . يكبرون ويزرعون الصارية . سجدت لله . وامتدت يدها تبحث عن صاريتها . لمحتها عند صديقتها ، التي أبلغتها تليفونياً بعد العبور بساعة واحدة . تذكر لها محاسنه ، وظروف خلاصه من زيجته الأولي . وافقت وراحت تسجل لحظاتها الأخيرة قبيل العبور وبعد النصر . أحست بأن أعلام الدنيا تشاركها فرحتها . خاصة عندما التصقت بجواره . ترجئ التمحيص والتفحيص في ملامحه التي غابت عنها طيلة فترة الاحتلال . وكأنها تقول لها " فرحة العبور لها مذاق خاص . هيا بنا نغلق الباب ، لنرسم خطة عبور جديدة بعيدة عن عيون الأعداء " .

" **تمت** "

اختيار

احتارت في أن تختار بينهما . أحست بصداع . فالأمر يحتاج إلي تفسير . نظرت حولها . لم تجد أحداً من البشـر . جلسـت بينهما تنظر إليهما " لو كان لهما لسـاناً لسـألتهما وانفض الأمر " . هكذا قالت لنفسـها .. امتدت أصـابعها تعبث في المياه الصـفراء الصـلبة المنبسـطة تحتها والممتدة على مرمي البصر حولها . سمعت همسات نسيم عابر يلقي عليها التحية . ورأت طيوراً تحمل الشـهداء . شكلوا حبلاً طويلاً صنـع جسراً من اتحاد افتقده البشر " لو كان لي أجنحة لكنت تصدرت مقدمة هذا الموكب التي تشـهده السـماء " .. اختلطت همسـاتها بلغة صـباح ينتظر مثلها ضـوء يهديه إلي رحلته اليومية عبر حياة كونية التصـــقت به منذ الخليقة . تمنت لو كانت جزءاً من الطبيعة . بحثت عن الصــــلابة داخلها . اكتشـفت رحيلها . لم تيأس في البحث عن صـــلابة أخرى ترصــف بها طريقها الذي تعددت أغواره في غيبوبة تملكتها أسـفل جناح صـبرها . مشـت بأصـابعها فوق حبات المسـبحة . وقفت عند الثلاثين . تذكرت طفولتها ولم تعثر على شـقاوتها أو حتى صـويحبات يكونن قد اصـطحبنها في أعياد الفطر أو الأضحى أو الموالد للمشاركة مع الذين سبقونا إلي العالم الآخرة . لم تجد هذه المساحة من حياتها . عبرتها إلي منطقة موحشـــة . تحملتها حتى حملت ســـلاح العلم . وظلت تبحث عن الآخر تسللت عبر ذاكرتها تستعرض مراهقتها التي لم تعرف عنها شيئاً . استعذبت كلمة الشهادة . قررت أن تتزوج في السماء . لكنها انتبهت إلي الأرض الملتصقة بها ، حزنت على اغتيال حلمها الأول وهو في المهد . احتبســـت دموعها على خيالات حلمها داخل إطار لم يكتمل . (منظف الصـــحون وصـــانع البطاطين) . ناولها عم حسين عواد البدوي كوب شـاي . فوجئت به يقول "إشـربي يا ابنتي وانهضـي لتجلســي على إحدى النخلتين " . قربت الكوب من فيها وسـألته : "لماذا احتفظت الأولي بصــلابتها . والأخرى بهشاشتها " أجاب " الأولي عقدت معها معاهدة فاستسمحتني ألا أجتزها إلا بعد انتهاء فصل الشـــتاء . وانحنت تهمس في أذني " هذه فترة خصـــوبتي وصـــلابتي ، اســـتلهم بها قوتي من أمطار الســـماء " . أما الثانية فقد كانت متمردة . لا تعرف النظام ترفع رأســـها في عنجهية . واعتقدت أني أقصر من أن أنال منها . لم تترك لي مساحة للسماحة . فأخذتها على غرة قبل الشتاء تهذيباً وتعذيباً ... رست على الأولي . ورفعت عملتها الفريدة في الهواء لتختار بين صحون الفنادق وبطاطين الأسرة .

" تمت "

انتظار

سـعدت طرباً عندما شـاهدت الطائرات تملأ السـماء . يخرج من مؤخرتها ماء على هيئة رذاذ . تحول اللون الأصـفر إلي أخضـر بعد دقائق معدودة . ارتفعت سـنابل القمح تتمايل في انسـجام . في اليوم التالي اجتمع الفلاحون يحصـدون النتاج وينقلونه إلي قواديس الطحين . امتلأت الدور برائحة الخبز . وصـــدر قرار بغلق جميع المخابز . وأذاعت وكالات الأنباء أن الزيت والفول قد أصـــبح متوفراً في الجمعيات الحكومية بأسـعار رمزية . وإذا ظهر أي من هذه الممنوعات في المحلات ، فسـيردع حائزها من قبل القانون . تسـاءلت : لماذا ؟ .. هزتني أمي بطريقة أفزعتني . اسـتعدت توازني وعرفت إنها توقظني لصلاة الفجر . تثاءبت ثم نهضت . مددت أنفي استشعر رائحة الخبز . لم أجد الخبز ولا حتى رائحته . صدمت بعد الصلاة بطابورين طويلين . أحدهما للرجال والآخر للنساء . وعلى يمين المخبز . امتد طابوران آخران . سمعت تعليمات البائع وهو يقول :- كفاكم ازدحاماً . هناك أصناف أخرى تحنط في معابد لم تجف . ولا تجمعوا الأبقار لتقديسـها ، بل ادخروا كل الزجاجات الفارغة . اسـتعداداً لبناء قرية نموذجية . رفعت معصمي ونظرت ورائي . ياه . أمامي لا يقل عن خمس ساعات . إلتفت يميناً . وجدتها . ملامحها ليسـت غريبة عني . حتى أنت تقفين في طابور الخبز . وأجولة القمح تمتلئ بها مخازنكم . أتتذكرين حينما كنا نلهو حول بقراتكم السـمان . وكلما شـددت ذيل إحداها تصـرخين في وجهي . وفي منزلنا تصرخ في أذني أمي " قوم هات اللبن من عند أم شوقية " . أحمل الوعاء . وبعد عشـرين خطوة أكون داخل بيتكم المفتوح دائماً . أراك تقفزين فوق أجولة الطحين . وأمك تجلس القرفصـاء أمام فرن الطين . وفوق حمارك الأبيض تعبثين بشـعيراته الممتدة . وتنظرين إلي وأنت لا تدرين بما تخبئه الأقدار .. أخيراً وصـلت إلي أول الطابور . حملت الخبز . ولم تكتشـف وجودي . تتبعتها ، فإذ بها تتسلل من جديد إلي طابور طويل . تلفتت لتجد ابنها الصغير يسألها : فين العيش يا ماما ؟! .

" **تمت** "

كبرياء

منذ خروجك من الصف السادس الابتدائي ، وأنا لا أعرف أخبارك . سوي أنك تزوجت من رجل بدين . يكبرك بعشرين عاماً . أتي به أبوك . وأصبح من الأثرياء في غمضة عين . كان قبلها حوذياً . وعثر على حقيبة جلدية أثناء تجواله . فضــل أن يكون صـــاحب زريبة بجوار والدك ليســـتفيد من خبرته . بحثت عن جمالك ورشاقتك وجسدك الفائر رغم صغر سنك حينذاك . استشفيت أن كل ذلك انفرط وأفل تحت عجلات الحوذى . سـألتك عن اسـمك الذي أعرفه منذ خمســة وأربعين عاماً . أجبت " اسـمي . الحاجة ســعدية القلعاوي " . رأيت الكبرياء على طرف لســانك . أحصــيت لي بناتك الثلاثة بمراحلهم المختلفة . وختمت بمحروس أخر العنقود . ذكرتك بأخيك الوحيد محروس أول العنقود الذي حرق الزريبة أثناء لهوه بعود كبريت فوق ســـطح منزلكم الكبير . يومها قال الناس " دا جزاء القادر الذي يبخل بالعطاء . سقت لك محاولات أبيك التي باءت بالفشل . حتى اكتملت دستة البنات وكنت أنت في المؤخرة . طلبت منك بنتك الوسطي لابني الأوسط . كدت تبتلعين لسانك القصير على إثر شهقة مغلفة بعنجهية انتشـرت على كل تقاسـيم وجهك . وأجبت " دي هيه مش راضـية بالمهندس وعايزه دكتور . رغم أن الاثنين ما زالا في التعليم الفني .. قاطعتك بابتسامة فاصلة . رسمت لها إطاراً به تجويف لكي أجرفك في موضوع آخر . انزلقت معه تسألين عن تروس تداعت أسنانها . أجبتك بأن القديم أحلى من الجديد . والعاشق والمعشوق سيظلان رمزين للقفة التي لها أذنين.

" **تمت** "

وداع

أحس بأنهم ما جاءوا إلا لتشييع جنازته . الجميع ينظرون إليه ويبسمون . شعر أنه يغسل بأمطار القبلات والتهاني . واستحالت البدلة الزرقاء الذي يرتديها إلي كفن أبيض . وآذان الظهر ما بقي عليه سوي نصف ساعة . سيهبط معهم على رجليه بدلاً من الأعناق . وسيصعد معهم ثانية ليتلقى عزاءه . حتى إذا ما لقي ربه وهو بعيد عنهم ، يكونون في حل من واجب فرض عليهم . تمني لو تجمدت الساعة فلا تزحف إلي بقعة زمنية أخرى . لأن انصرافهم سيحمل له معني الفناء . لمح فتحة القبر تقترب وتبتعد ، بيد أنها في هذه المرة أدخلت رقبته بما فوقها داخل محيطها . يا الله . ما هذا الظلام ؟! . حاول التخلص ، حتى اصطدم بألواح النافذة المستطيلة التي تراه دون أن يراها . تحسسها بعدما صافحها ، شاكراً لصنيعها ما فحرته بفراستها داخل مخيلته ، وقدرتها على استرجاع ذكرياته الذي ظن أنها أولته ظهرها . وجره الماضي بحبال لم يرها . بلغت أحزانه مداها عندما أخرجوه من أرضه . ظل فاتحاً فاه على حرف الواء دون انقطاع . وما لبثوا أن ألقموه حلمة أخرى غير الذي يبغيها . انتبذها بأنامله الطرية بحركة عشوائية . أحاطوه بأثدائهن لعلهن يفلحن في إرضائه . بيد أنه كان عنيداً . أثبت للجميع أنه ليس غافلاً عن صنبور حياته " انها الحلمة الوحيدة التي خلقت لها . فلماذا يضرب عنها . حتى ولو انصهر في بحر من الدموع ؟!" .. وظلت جوارحه تبث فيه غريزة الرفض والإصرار .. وقبل أن ينهار . غرست أمه حلمتها في فيه . وما لبثت أن أحست بألم . عرفت أخبار القيصرية ومقطوعة ابنها من حبيباتها . أمطرته بقبلاتها . فاستفاق على من يقبلونه من توه . خيل له أنه محمول وفي طريقه إلي مثواه الأخير . وما كاد يصل إلي غمر المشيعين الرمال عليه حتى انتفض واقفاً ينفض ما علق على بدلته من سراب ، وما لبث أن جلس بعد رؤيته الدهشة في عيون الذين جاءوا لتكريمه . غض من طرفه . وأمسك بدمعة كادت تنشق عن صويحباتها . أعلنت تمردها آسفة على قطعها الطريق بين المسافتين . نقطة الميلاد ومركز الموت . وما الفرق بين التكريم والوداع ؟! هكذا تساءل . استوحي من اللوح الزجاجي الأزرق ، ماضيه من يوم تعيينه . حتى لحظته التي يعيشها الآن . لم يمل من الذين عبثوا بمصاريعه قبل الغارات وبعدها . حتى مكتبه ودولابه . أخذا يرصدان أخر عهده بهما . تأوه وزرفت عيناه بالدمع على عمره الذي ولي في (طرفة عين) . انقسمت حياته إلي مراحل هو الآن في آخرها . تلقفته المقادير بأربطة محكمة . انحصرت بين وجود عقيم . وحاضر يحبو داخل عنبر مظلم . سلمته طرقاته إلي عنابر أخرى أكثر ظلمة .

" **تمت** "

حرية بلا هوية

اندفعت بمجرد فتح الباب . حامت على ارتفاع ليس بقليل . تهفو بنظراتها إلي أخواتها ثم حطت على المســـاحة الشـــبكية . تنقل خطواتها هنا وهناك . وتدور برأســـها في جميع الأركان . انتابها القلق لخروجها المفاجئ من موطنها الصـــغير . لحظتئذ كانت تنشـــب أظافرها على لوح معدني في مواجهة الباب . تتنســم حريتها من خلال ثقوب تبث لها ولأخواتها الحياة . وما لبثت حبيبة تتقدم لتضـــع لهم الزاد . فزعت من موقفها تنشد النجاة . وهي لا تدري أنها بذلك فقدت وطنها الجديد والذي لا يبعد عدة أمتار من أرضـها التي شـهدت مولدها ونشـأتها . وقفت حائرة . سـألت نفسـها :- لماذا تسرعت بهذه الصـورة الهمجية ؟! وجعلت تفحص الموقع . وقعت عيناها عل العرق الخشـبي الممدد فوق المشـمع الجلدي الســـميك . ثم طافت حول المكان . لم تعثر على أية مدخل . نظرت إلي الواقعة . رأت في عينيها خليط من أشياء ترجمتها في أنها تبحث عن حيلة للإمساك بها . أقسمت بينها وبين نفسها أن ذلك لن يحدث . حدثت نفسـها :- " بالأمس كنت أعيش في الظلام بيني وبين النافذة الصفراء العقيمة إطار من لوح معدني به مربعات متساوية تبث لي حريتي المفقودة بحسابات دقيقة . وفي موعد محدد لا يزيد عن السـاعة يومياً ، تفتح النافذة . لحظتئذ لا أدري إلا وأنا وأخواتي وقد تملكتنا سـعادة تدفعنا إلي أعلى . نشـــق المســـاحة المحددة لنا جيئة وذهوبا . نفعل ذلك ثم نتناول ما قذف لنا على عجلة لنلحق برحلتنا القصـــيرة المرتبطة بغلق النافذة . تجرأت الجرذان وشـــاركتنا مائدتنا . ولم تفعل ذلك إلا عندما تيقنت من استسلامنا . أعطيناها الفرصة بأن تمرح طيلة الليل وكل أطراف النهار . اقتطعت كل حقوقنا رغم أحقيتنا في كل المقدم لنا من معونات . في البداية كنا نتناول وجبتنا الفريدة ونترك للهواء ثلثه وللماء مثله معتمدين على ما يتبقى . لكن بعد الغزو . رأينا أن نشغل جميع الأثلاث . أما اليوم . ومنذ الصـــباح . تم القبض علينا لعدة دقائق . فوجئنا بعدها بأســـر جديد . بيد أنه ســـهل لنا حرية الحركة . وأضـــاف لنا لوناً جديداً لحياة لم نألفها . عرفنا طريق الليل وحواري النهار . واختفت الجرذان . هاهم أبناء جنســي يحلقون قرب الســماء . ويرقصـون فوق أسـلاك الهاتف . وهاهي الطائرات تمر فوق رءوســـنا . لابد لها من مؤامرة تحيكها للإيقاع بنا . وذاك شـــمس الأصـــيل تتأهب للمبيت . وأنا مازلت فوق السـطح . لا أدري ماذا سـأصـنع ؟! . تنبهت إلي مغادرة الواقفة أمامها المكان . وصـفقة الباب وراءها بطريقة أخرجها عن ذكرياتها . تكورت غير راضـية بوضـعها الجديد . اتخذت من سـتار الظلمة رداءاً . والتصـــقت بمكانها . قبيل منتصـــف الليل بســـاعة . شـــعرت بيد خفية . فلتت . وعلى مسـافة ليسـت ببعيدة حطت . اسـتمرت المطاردة . في أصـيل اليوم التالي . رفعت حبيبة عينيها فوق الشبكة المعدنية ، امتلأت ملامح وجهها بالبشر عندما لمحتها . صنعت فتحة صغيرة . وأخذت ترقبها . بسملت . أدخلت رقبتها . دعت . تقدمت بجسدها . وأخيراً أجهزت على أرضها قبل أن يجهز عليها .

" تمت "

الرفصة الثانية

جلست أمام التلفاز لتشاهد مسلسل البنات . شدتها المشاهد إلي عالم تريد أن تنساه . بيد أن ما تريده بعيداً بعيداً " دا اللي مالهوش كبير بيشتريله كبير " عششت داخلها هذا المقولة عندما سمعتها .. " وعشان خاطر الدقيق خليك دقيق " أصابتها في مقتل . ضربت كفاً بكف . ومشطت شعرها بأصابعها . طفرت دمعة من بين أهدابها ثم قامت منتفضة ومسحت الحجرة غادية رائحة . رأت الحقائق أمامها مقلوبة . فهي لم تشتر الكبير . ولا هي دققت في الاختيار . قذفت بنفسها فوق الحشية وراحت تتابع مسلسلها هي . حدثت نفسها . " أنا أخطأت في حق نفسي " . وما لبثت أن تلقت رفصة جاءتها من داخل بطنها . تأوهت ثم استطردت . " أنا لست متبرجة ولم أكن أدري أن للاحتشام طريق وعر . ماذا كنت سأفعل . القطار لم يرحمني . جميع اخوتي سافروا إلي قراهم ومدنهم . وتعبت يداي من الإشارات حتى لظننت أنه سيدهمنى وأنا مكاني . تزحزحت قليلاً . ويا ليتني ما فعلت . اخترقت طريقاً عشوائياً . شقيقي الكبير انتحيته جانباً ، رغم أنه نبهني بالرجوع إلي قاموسه كلما استعصت على مصطلحات حياتي التي بدت تتجمد أسفل قدمي . منذ وفاة والدي وأنا أراه في المحراب يدعو له . ويدعونا لتطبيق مبدأ الشورى . لكنني ألقي عليه اللوم لاسناد التبعية لزوج شقيقتي أثناء رحلته الطويلة . وبدلاً من طرق بابي . تبرع المتطوع في أن يلتقط من فم صديقه المملوء بالدخان داخل المقهى تحطيم جدران حياته . وأنه في حاجة إلي رفع الأنقاض مرة أخرى . عرضني عليه قبل أن يراني . وعقد معاهدة خالية من الشروط . وطلب مني الموافقة والاستعداد . وقام هو بتحديد الموعد . ثم همس في أذني أن جيوبه خاوية . وعليك كل الأعباء من الألف إلي الياء . ثم حمل الماجور الذي كان بجواري وحول وجهته شطر الأرض ووجدت نفسي متلهفة إلي عنب اليمن وبلح الشام . أحسست كأنني مخدرة . ابتعدت عن كافة الطرق رغم أني أرغب في الاقتراب منها . وجاء الموعد . وأحضروه بجواري . وبعد الزفة كان الشيطان ثالثنا . وبعد أيام قلائل وجدتني أحمل ما تبقي من أعواد ثم أقوم بتحزيمها وتقديمها للذي أصبح زوجي . وانطوت صفحات من حياتي . أعدت النظر إليها . وجدته يتلصص على نظراتي ثم يعرج على جيوبي . ولم يبخل على بإعلان أسره إن لم أرضخ لفك الحصار من حوله ... جاءتها الرقصة الثانية . وكأن ما بداخلها ينذرها بألا تعترض على الراكب الوحيد الذي أشار إليها . بعد معرفة موقفها من عابر سبيل . لا يقدر معني الكبير . ولا يعني لكلمة دقيق حروفها .

" **تمت** "

الحصن

اتصلت بي هاتفياً قبل منتصف الليل . لتنبئني بأن قلبها بدأ يدق من جديد . وأنها احتفلت ليلة أمس بذلك . ثم ضحكت قائلة :- أطفأت جميع المصابيح ، وأوقدت شمعة واحدة ليتسنى لي رؤية قلبي بوضعه الجديد . وعلى فكرة . أنا قررت أن تكون تابوتاً لأسراري . سألت : لماذا؟ أعقبت بسؤالاً لكي أجيب بنفسي على سؤالي .. ـــ ألم تتذكر أول لقاء ؟ لم تسعفني الذاكرة . خاصة عندما لمحت التي تتململ تحت الغطاء ، تمد يدها باحثة عني . وفي لمحة عين أعدت السماعة مكانها وتمددت مكاني ألملم صفحاتها وأبعثر صفحاتي . وبدأت بسطورها الأولي . كانت المفاجأة . أسنان مفتاحها تشبه أسنان مفتاحي وإن كان هناك تباين طفيف في حجمهما . واصلت البيان . شممت رائحة هزيمة . بيد أنها لم تكن تدري . بحجم الطعنة . لحظتئذ كان عقلها لم ينضج بعد . وقلبها لم تكتمل حجراته . وكل من حولها طمسوا الحقيقة وأطروا الخديعة بخديعة لم تكن في الحسبان . ساقوها لمعتقل خال من النوافذ . صنعوا للهدف مجموعة شباك . وفاتهم أن للرياح أذرع . وأن للسنة أربعة فصول . لم يلتفتوا إلي كل الأشياء في وقت واحد . لم ينتبهوا للسحب في أشكالها المختلفة وهي تسير في طريقها المفتوح دون توقف . غفل عنهم أن للبحر ثوراته وهفواته . لم يرحموا بذرتها . قبضوا عليها بعنف . طحنوها في أصيص له ثلاثة ثقوب . تركوها وانصرفوا يلملمون أطراف ثوبها الأبيض . وفي يدهم غطاء احكموا غلقه . هرولوا وراء ظل شجرة فقدت خاصية التعامد وقت الظهيرة . لكنها تحمل عناوين حواري النهار ودهاليزها . رأت أن توقف قطارها . لتتأكد من رائحة غريبة انتشرت في خلاياها . ولما تيقنت كانت قد وصلت لمحطتها العاشرة . هبطت وارتدت البدلة الواقية وامتطت فرسها تلوح بدرعها . تجرأت واقتحمت حصني المنيع . لم تجد كتيبة الدفاع مكانها . فوجئت بأياد عديدة تمتد ، تدعوها للصعود . تذكرت مروتها . وذكرتها بصفاء اختيارها . لمحتني وأنا أقبل برعمها وكأنني أخصبه . انحنت بشفتيها تحدد مكانها بطوق ذهبي أخرجته من حقيبتها . فتحت لي أبواب عينيها ودعتني . اكتفيت بأن أتجول من بعيد . وعندما أمعنت . رمقت كل كوابيسي وقد تشكلت إلي أحلام صلبة . بجوارها مجموعتين من أصابع لم أتبين عددها أو حجمها . الأولي تصنع جسراً . والأخرى تعد الشموع . ولما لفحت صفحاتي المبعثرة نسمة عابرة . أحسست بقيمة الزمن الذي رافقني في كتابتها . وشعرت بتصفير أحلام تستعد لعبور الجسر . أما هي فقد راحت تعد العدة لاختراق حصن مازالت جدرانه عالية .

" **تمت** "

الأفعى

" معلش يا بني . خيرها في غيرها " قالتها أمي وهي تودعني . أخذت مكاني بين وجوه لا أعرفها . مددت بصري من النافذة لاستقطب آخر صورة لها لكي أضعها في أعلى فوتوغرافها اللابد خلف بقايا حبلي السري .. تحركت السيارة ، فأخرجت ذراعي لأهديه لأمي . بيد أنه لم يطاوعني . وظل متشبثاً بي . يذكرني بانتمائي إلي أرضها التي تمتد بيني وبينها مهما طالت المسافات .ضحكت وبكيت وازبئرت مشاعري تجاه أخي الأوسط . يا لها من كارثة . بذرته الأولي اندفنت تماماً . ونبتت مكانها صورة تشربت بأناس لا يعرفون طريق الصواب . هم يحفظون ويرددون " الاتحاد قوة " لكن الطريق إلي شعارهم لا يهم أن يكون أخضر اللون . جميع الألوان الصارخة تسعدهم . دفتهم يتركونها في يد شقيقتهم وهم وراءها يبتسمون . حتى إذا أحسوا بالغرق . نقبوا بأطراف أصابعهم عن قطعة من حجر . ينطلقون بعد نجاتهم منها إلي محطة أخرى . أكثر عمقاً وتزداد المحاولات .. قبل انضمام أخي إلي مركب شقيقتهم . كنت أزجره وأأمره بتمزيق ثوب الحياء . وارتداء ثوب بدون ذيل . اهتز المركب وانخلعت قلوب من شاركوه رحلته منذ كان لا شيء .. التقي بها في إحدى عربات قطار الضواحي . ممصوصة القوام . بابتسامة واحدة جذبته إلي جلدها ذات السبعة ألوان . وكررت المحاولة مع رفقاء الرحلة . أحست بالملاءة تنحسر من بين أقدامهم . فدفعت قنابلها العنقودية تباعاً أمام أشقاء زوجها . وجمعت إفرازاتها المسمومة داخل كئوس فسفورية ثم قسمتها إلي جرعات لا تقبل المساومة . ثم أقسمت بان تفرق بينهن وبين أزواجهن في المضاجع . اختلقت الأكاذيب واتخذت من القسم مضغة . درست أصول النصب وثوابت الاحتيال . ثم أمسكت بأول قطرات الغيث . دفعت زوجها لحمل أنباء لا تهمها . استجاب وجلس القرفصاء بجوار أمه ، يرقب الخواء المرصوص في إطار من هواء محبوس منذ ثورة يوليو . قرار السيطرة على الحانوت أصبح هدفهم . جندت نفسها زعيمة على مجموعة من زبانية يلوكون القسم ويمضغون اللحم النيئ . نصبت عيوناً لها لتمدها بحبال داخل فناجيل العرافين . حتى إذا هلت شمس الصباح ، توليها ظهرها . وتظل تترقب الغروب لتستعين بظلام مدفون داخل نجم هي مازالت تنتظره .

" تمت "

بين المسافتين

الآن عرفت الحقيقة . وأصـــبح القطر بأكمله يعرفها معي . آمنت بان للموت أوجه عديدة مثل بقية الأشياء . حبي لوالدي أوقعني في حفرة بلا قاع . وأنا أصبحت بدون أنا .. أغلقت باب حجرتي . وفي يدي جريدتي تتعلق أعلاها صـــورتي وتحتها قنابل عنقودية انفجر بعضـــها !! . لم أفلح في تجفيف دموعي التي تحولت إلي ميكروســكوب خرب . قلت لنفســي " الحقيقة داخلي . ومشــاعري تجمدت . والســبب تلهفي على بضــعة ســطور تحملهم ورقة " . حتى انتبهت لصــوتي وصــورتي داخل اللوح الزجاجي ركنت الخطاب وبه لعاب أبي مازال جافاً فوق الغطاء. فتحت عيني على ثلاثتنا أنا الوحيدة . تركنا والدي عندما أتممت عشـر سـنوات . أخبرتني أمي أنه سـافر إلي دولة خليجية ولم تعرف أخباره منذ خمس سـنوات . فقدت أمي الأمل ونسـيت أنا صـورته . حتى جاء الأمس حاملاً صـوته . أخبرنا بأنه قادم بعد عام . أما ظروفه الغامضة فسيبعث بها في خطاب . نادي ساعي البريد . يعلن قدومه . كنت لحظتئذ في الحمام . وأمي خرجت منذ الصـــباح إلي عملها . عبرت حافة البانيو . كدت أنزلق . تماســكت وأزحت بعض الشـــعيرات عن عيني . رأيت ظله خلف اللوح الزجاجي . تملكني الخوف من ضياعه . فتحت الباب بقدر سمك إصبع . تجولت بعيني . أخرجت ذراعي . أما رأسـي وبقية جسـدي كانوا بالداخل . باءت محاولتي بالفشل . سقط على الأرض . في المحاولة الثانية قبضت عليه . لكن أثناء رجوعي . انغلق الباب وأصــبحت كما ولدتني أمي خارجه . جلســت القرفصــاء . لم تقرضــني الأشـجار أوراقها لمواراة سـوءتي حتى صـعد صـاحب الشـقة المجاورة لنا والذي يضـع أخر لمسـاته استعداداً لزفافه . رآني . أسرع وفتح بابه . أعطاني شارة الدخول . استنكرت طلبه . سمعت وقع أقدام تصعد . كرر إشـارته . انصعت بلا روية . اقترب مني . شـعرت بسطوته عند آخر قطرة من مجموعة آهات تبعثرت . خرج هو محاولاً فتح بابنا . ضبطته أمي . صرخت !! . جاءت الشرطة وأودت به في السـجن . ثم عادت لتجدني أدخل عليها كما ولدتني والخطاب في يدي . ولعاب أبي مازال عالقاً بين المسافتين .

" **تمـت** "

جمار

عبر الهاتف . أرســـلت لي قرارها . وددت لحظتئذ أن أهمس في أذنها بتأجيل تســـديد حســـاباتها . استرسلت في الحديث . استولت على كل المساحات . وقبيل وضعي للهاتف في مرقده . فسرت لي ترجمة فورية لمصاحبتي لها في رحلة خلوية . استمهلتها بألا تخوض في تفسير الأحلام . فالمسافة مازالت بعيدة . لكنها أصرت وأجهزت عليه . أزهقت روحه وأسكنته بين سكان القبور . ثم قالت لي " أمامك ثلاثة شهور حتى تكتمل الزوايا الشرعية . وقطعة رقيقة منك أطوق بها معصمي سألتمس من ملمسها نبضاً أخفقت في الحصول عليه منذ عشرة أعوام " . حاولت التسلل إلي أذنيها . أعاتبها على جريمتها . صرخت . واختلطت أسئلتها بإجاباتها " كيف أسامحه وهو الذي اقتحم منجمي وسرق كل مجوهراتي ، ولم يتراجع . بل أخرج لســـانه لي . وحوله إلي كهف . يتواري داخله نهاراً . ويخرج ليلاً ليرافق البوم . ويااليته ندم ، سيكون بذلك قد فتح أمامي باباً للتراجع . بل تمادي وذهب يجمع الأحجار حتى أكمل الجدار . ونجح في بناء ســـد يحجبني عن الأنظار . لكنني لم أفقد الأمل . طرحت عليك القضية . ووعدتني قائلاً : " خلصي الموضوع وأنا مستنيكي في الممنوع " وأنا ها أنذا أحلم في وضح النهار . أمامي جدران لابد وأن ترتفع لتحمي الصغار . وقبر فتحته وأرسلت من يسده . وأموالاً تزحف من بعيد . ســأنتظرها ثمناً لأعوامي . ومســتقبلاً لثلاث محصـنات . أبقاهم في حجري . وما عليك إلا الانتظار لرمي الجمار .

" **تمت** "

الفلوجة الجديدة

ضغط بسبابته على منتصف جبهتي قائلاً : " سأكون وراءك ولن أتركك . والزمن طويل " . قلت : " إن كان الزمن طويل فعمرك قصير ولن تنالني " . تحرك لساني يلملم أطراف بصفة كادت أن تنطلق . فتح الباب وانصرف متلفتاً وراءه ثم أمامه ليرصد طابوراً طويلاً من زبائنه كان هو رئيسهم . ختم نظراته بنظرة طويلة ثم اختفي واختفوا بأصواتهم وأجسادهم وما يحملونه من نيران صلبة داخل أجزائها الحديدية .. رددت الباب . وما أن التفت ورائي حتى رأيت كل الأشياء معكوسة تماما . التلفاز منذ قليل كان مغلقاً . والآن بداخله الصليبيون ينشرون رؤوس أهل الفلوجة . والأسرة كانت تتمدد عليها المراتب ، وجدتها في التو خالية من أطفالي وزوجتي . والصندرة العلوية أصبحت خاوية . ولم يكلفوا أنفسهم في استعادة محتوياتها إلي مكانها كما كانت . تركوها تنزف . وتركوني أغلى . اخترقت هذه الأحداث ذاكرتي . لم يكن عبد السلام أول الذين لضموا معي مناورة ذات ثقب ضيق . يومها لم يستمع لي . وأصر على مشاركتي للهم العام . وأعلن على الملأ ، أن السطح لابد وأن يكتمل . ثم هددني بخطورة رفضي ، بعد تلويحي له بأنني في الدور الثاني البعيد جداً عن السماء . يومها لملم خيوط نظراته كالذي يلملم شبكة صيده وانصرف .. حتى جاءني من يخبرني بقذيفة ستصل لي بعد قليل . أنشأت الحصون . وبنيت الجسور ومنعت نفسي من الظهور ، وبعد انقضاء ساحات الرحمة وانطواء صفحات المغفرة . هلت ليالي العتق من النيران . ظللت أدعو الله أن تستمر النيران في صلابتها . وفي ليلة شتاء باردة . اختلطت طرقات المطر مع طرقات رئيس الزبانية . تملصت من تحت البطانية على أمل الدخول تحتها بعد برهة .. قلت من ؟ فالليل قد عبر منتصف الطريق بساعة . والحذر مطلوب . سمعت بلهجة آمرة :- " افتح يا فهيم " . مددت رقبتي داخل العين السحرية . وجدت زوار الفجر يتأهبون لحمله داخل شقتي . فتحت الباب قبل تحطيمه . بح صوتي لمعرفة السبب . وعندما فكرت في أن أصنع سداً . انهرت وانهارت محاولاتي . ولما حاولت الزحف وجدت شيئاً ثقيلاً على رقبتي يوقفني فتوقفت قبل أن تتوقف حياتي .. مددت لساني لأنادي على زوجتي وأولادي . تركوني أكرر المحاولة حتى امتثلت زوجتي بجواري ملفوفة داخلا ملاءة سرير لم تحسن اختيارها . عرفت ذلك من خلال نظرات الواقفين . سألت الذين يحاصرونني عن سبب هذا الهجوم . فأنا بعيد عن الفلوجة بآلاف الكيلومترات والأمريكان لا يعرفونني . ومدينتي الساحلية رفع رئيسها العلم الأبيض منذ سنوات . فلماذا كل هذا ؟! . تقدم مني رئيس الزبانية متسائلاً :- أين الزخيرة ؟ . أخرجها قبل أن نخرجك من الحياة .. لحظتئذ . تدلي لساني لأري كل ما كان أمامي مقلوباً . وتذكرت صديقي الذي أخبرني بالقذيفة قبل انطلاقها . وظللت حتى الصباح واقفاً أنظر لأطفالي النيام . ثم ملت على أذن زوجتي . أدعوها للانصراف . فانصرفت . لكنها أتتني تهرول داخل ملاءة خالية من الثقوب . قائلة :- لابد أن نستعد ربما يحضروا مرة أخرى !!

" تمت "

للصعود فقط

وجدتني أتلوي من شـدة الألم . نظرت يميناً وشـمالاً بنصـف عين . أين المصـلون ؟ أظن أنـهم خرجوا وتركوني . آخر لحظاتي قبل إصــابتي لم أدركها جيداً . الذي يعنيني الآن هو حملي إلي طبيب . الألم يعتصرني وشمس العصارى تغير لونها من أجلى . حاولت التزحزح من مكاني . الألم مازال يلازمني . وصـرخاتي خرج بعضـها عقيماً . والبعض الآخر ارتد داخلي وبقعة دم امتدت تلون مرقدي . اكتشـفت أن كتفي الأيسـر هو المصـدر . أصـابعي وملابسـي تشـبعت بذاك اللون الذي توحش أسـفلي ليصـبح بحيرة . ماذا بي ؟ لابد أنني أحلم . لا . لا . أين المصــلين ؟ من الذي سـيؤذن ؟ أين الإمام ؟ . يبدو أنني سأحدث نفسي طويلاً . حاولت أن أتذكر سبب قدومي . إحساسي بالضيق لعدة أيام متوالية كان سـببه بعدي عن بيت الخالق . صـحيح أنني لم أترك فرضـاً واحداً في بيتي لكن والدي رحمه الله كان دائماً يوصــيني بالذهاب إلي المســجد قائلاً:- " حاول يا بني أن تدخر لآخرتك ما اســتطعت . عدد خطواتك ووقوفك في صف واحد ، وحديثك مع الله وهمسات الله إليك . كل ذلك سيثقل من كفة حسناتك . ومن يومها وأنا أحافظ على هذا العهد . حتى سـمعت بالحصــار . فامتنعت واكتفيت بأن أكون إماماً لزوجتي وأولادي . لكن نداءاً خفياً شدني إلي هنا . لم أتردد . ووجدتها فرصة لإزاحة الغطاء . جاءني صوت المكبر من الخارج بالاستسلام أنا ومن معي . خفق قلبي . ونظرت لأعضائي أودعها . وانتظرت لحظة الانفصال الأبدي . وانعقد الأمل الأخير . ورأيتهم قادمون بسلاطينهم الحديدية. وأقنعتهم الملتفة حول أعناقهم . كل الفوهات ذوات العين الواحدة ابتلعتني داخلها . أحسست بانقباض لم أشعر به من قبل . رفعت يدي اليمني بصـــعوبة أنبههم بأنني في حاجة إلي طبيب . يا للهول . الآن ، فقط رأيت أشياء لم أستطع البوح بها . لساني انعقد مكانه . حاولت تحريكه لكن دون جدوى . كنت أود أن أنقل ما أراه الآن عبر شــاشــات الفضــائيات . آلاف من أصــدقائي الذين حملتهم إلي قبورهم أمامي الآن يمرحون ويضحكون . على الأرائك يتمددون . معظمهم من الذين كنت أراسلهم ويراسلونني ثم انقطعت أخبارهم . الكل يطير في خفة الطيور . ضربت بعيني ناحية الكوة الشمالية . وجدت طوابيراً يصـعدون من بينهم قبيلتي وعشــيرتي . جلســت تحت الشــجرة المباركة . أنتظر زوجتي وأولادي . وعندما طال الانتظار ، توجهت صوب الحبل الواصل بين السماء والأرض . لم اجد إلا طريقاً للصعود فقط .

" **تمت** "

حمار جوافة

قبضوا عليه . أودعوه بين القضبان . أقسم بأغلظ الإيمان بأن يقتله عندما يخرج . أصبحت الجدران أنيسه والظلام أليفه . تلفح بالوحدة وهو يعض على نواجذه . ما فيه الآن ليس غريباً عنه . لكنه يكره ثني الذراع . سأل أمه عن أبيه . تأرجحت إجابتها بين الموت والهروب . واجهته بالحقيقة حتى يتحمل المسئولية . لم يره إلا في صور متقطعة . فشل في طبع صورته داخله . قبل استكمال تعليمه الأساسي بعام احتضنه الشارع وتسلمته أيادي الضياع . حدد برنامجه اليومي . طوال النهار يجوب النيل وسط السائحين والسائحات . أتقن رغماً عنه جميع اللغات . أما الليل فكان يقضيه بين الخمر والميسر . يرفع الملك في الهواء. ويخسف بالكتابة إلي أسفل أرض . لم يشعر بنفسه إلا عندما انطبعت على عينيه قطعة من جسد النهار وكأنها تذكره بعالم الأحرار . رأي مجموعة من حيوانات مبعثرة ترعي على الحائط الماثل أمامه . يتوسطهم حمار . تذكر ليلة القبض عليه . قبل منتصف الليل بربع ساعة . قال له جوافة " أنا هالعب على الحمار " ابتسم عبد المنعم محمود . أنصفه الملك . حمل الوديعة في سوق المواشي قطعة إرباً . في اليوم التالي علم جوافة بتحطيم باب رزقه . أحس بالعاصفة تندفع إلي يافوخه . بحث عن عبد المنعم في كل زوايا المنطقة . فشل في العثور عليه . دخل البوابة الأمنية . لصق اتهاماته على الجانبين وانصرف . في الطريق قابل الهدف . سأل عن باب رزقه . تأففت أذنه . استحلفه واستعطفه حتى رضخ وأعاد أجراس النهيق إلي مكانها . عند انتصاف الليل . ساقوه وراء القضبان . لم يكلف جوافة نفسه وسعاً بأن يذهب إلي هناك . استمر في عناده والجلوس حول لفائف التبغ المحشوة . كل ليلة يبث ضحكاته في حرية . وزعت أم عبد المنعم عبراتها على أولاد الحلال كقرون استشعار . أحدثت ذوائبها دوياً زلزل كيانه . في الصباح أبرم اتفاقية مع كبار الساسة والمفتشين . ضغطوا عليه . كادوا يحطمون عظامه . اشتري حياته ولبي ما طلبوه داخل صوبة ضبابية ضربت بفروعها فوق جدران أيامه .. قرر في هذه المرة بألا يفك قيود الحمار . وأن يسافر بعيداً عن الملك . أما الكتابة فراح يعلق المشنقة ويتلفن عشماوي . قال لنفسه : " مش كل مرة تسلم الجرة " استطعم اسمه عندما رآه فوق عربات الكارو وأسفل عجلاتها . بصق كل ما بداخله من طباع . قرر صنع خلاط لبذوره الجديدة ليكون قادراً على طحن ثورة . هو اعتقلها بنفسه داخل قضبان بدون هوية .

" تمت "

ميناء بلا رصيف

انتهي من رشاش الماء الساخن . تنفس الصعداء . تعود كل أخر ليل أن يغسل تعب النهار . نظر في المرآة التي أمامه . لم يجد وجهه . جفف قطرات الماء اللابدة بين ضـــلوعه . لاحظ أنها تتكاثر من جديد . وأدها بملابسه الرثة . جلس يرقب أيامه الخوالي وأعوامه القادمة . مضـي عليه عشرة أعوام كأنهم يوم واحد . لم يعثر على مرفئاً لدفء جديد . تمكن منه الخوف . استعرت داخله هواجس شتي . عندما نظر إليه وجده شـــامخاً دون تدخل أحد ، رغم طمســـه بالأقدام بين الحين والآخر . قرر أن يتزوج بامرأة لها نفس ظروف ما رآه . أيقن أن المولد العشـوائي لمن اختارها سـيزيدها صـلابة . وأن ميزان حسناته سوف يتسع . قطفها من وسط النفايات . أنجب طفلة . هروبه من الثأر . ضيق عليه حريته خاصـــة عندما وصـــلته أنباء ذئب يعوي في مضـــجعه أثناء غيابه . طلقها . أودع ابنته ذات العشر سنوات عند جيرانه . رحل إلي مدينة قابعة في أحضان المقطم . نسي ابنته . فكر في مواصلة رحلته . لكن في هذه المرة أغمض عينيه عن كل ما هو عشوائي . أحس براحة لم ينعم بها من قبل . مسح حجرته اليتيمة . حمد الله أنها ليست زنزانته . قال لنفسه : " كفاني ظلمة الثأر وقتامة الخيانة " . أفزعه طرق عنيف على الباب . انتفض وفتح . فوجئ برجال الشرطة يقتادونه . تحسس رقبته وكأنه يودع آخر لمساته للحياة . حدث نفسه " لعن الله الثأر الذي يلازمني " . كشفوا له أمانته التي أودعها عند الجيران منذ عشـــر ســـنوات ليتعرف عليها . قلب جثتها غير مصـــدق . لطم خديه بالحذاء حتى الخلق الذين اجتمعوا حولها تسـابقوا في إشـعال زفيرهم وأمطروه ببصـقهم . بثوا في أذنيه خيبته وقلة حيلته عندما أبلغوه أن أمانته تلقفتها حواري الضـــياع . دوامات العواصـــف هاجت داخله تقتلع في طريقها كل ســـكينة . رقد بجوار ابنته . مد يده دون وعي ليصـــحبها إلي حجرته الصـــغيرة . فوجئ بالأشياء تتلاشى أمامه رويداً رويداً . تتساقط من فوق ظهره . تودعه الأجولة والصناديق الخشبية . النبات العشوائي يهتز في صمود . الذئب يعوي في وحشية . حملق في مرآة الزمن . لم يجد شيئاً .

" **تمت** "

القرع العسلي

وضـــعت أمام عينيه قطعتين من بين الســطور . صـــرخ في وجهي قائلاً : " حد طلب منك تكشـــف المســتور " . نظرت حولي فلم أجد سـوي كمية قليلة من هواء مســجون منذ البارحة ، وشــعاع مازال يتعثر في حبله السري . لوثته أقدام فأر هب مذعوراً من جحره العميق أسفل المكتب الخشبي . حملقت في الورقة بكل ما أوتيت من إبصار . تذكرت أن رئيس مدينتي لم يلق بالاً للهيكل الخشبي القائم وسط الورقة . وأن عشــوائية صــرخته أزعجت كل من كان في المكان . حشــر في أذني صــرختـه الثانية . وضعت طلبي الفريد المتواضـع أعلى الجحر وانصرفت وأنا في طريق العودة تخيلت هيكلي الخشبي في ثوبـه الجديد بعد رحلتـه الأولي منذ ميلاده ، والتي لم تتعد مائة متر . أقحمت نفســــي داخل بطنه . انتشيت بدهاليزه ومنحنياته وهي تحمل طوابير من خبرات مقتطفة من كل الزهرات . قلت لنفسي " طلبي المتواضــع بنقل الهيكل سـيحل كل القيود . وجرة قلم بموافقة رئيس مدينتي سـتيسـر المقصـود " . في اليوم التالي . صـعدت الدور الثاني أبحث عن قطرة من تفاؤل في المسـاحة المتصـدرة للمكان . وجدت غراباً يتنقل بين مجموعة أغصـــان يابســـة ملتصـــقة بالنافذة المطلة بعيونـها فوق التأشـيرة الحمقاء . انصـرفت وأنا أقطر حزناً على قوانين رأيتها محشـوة بالقرع العسـلي . تتناثر حول الحديقة المطلة بكل فتحاتها على مكتب رئيس مدينتي . تخرج لسـانـها لكل أمثالي . ممن هم بعيداً عن حقولها. دعوت الله بأن يكون لي نصيب في استحلابها . استجاب الله " هاتفني أحد الذين يتمتعون بتخزينها . طلب مني توصـيل القضــبان داخل فلته الجديدة . تنفســت الصــعداء ، وابتلت كل جوارحي بندي الفجر . حملت عدتي وركبت دراجتي . انتهيت من مهمتي وعرضت عليه مأساتي . لم يبخل أعطاني سلة مليئة بكل أحجام القرع . انصــرفت . وفي غمضـــة عين كنت أمام هيكلي الخشــبي . خلعت عنه ثوب الحداد . وعلقت على بابه ونوافذه كل محتويات السلة .

" تمت "

القربة المثقوبة

قابلني أسفل مجمع الهيئة . ناولني استفهاماً عارياً . نظرت إليه ثم حولي استطلع . تأكدت أنني المقصود . وجدت نظرته مازالت تنمو وأذنيه يستطيلان . وفمه يستعد لتكرار السؤال . ولساني تجمد عن الاستفسار لبرهة . ثم انطلقت في وجهه كالمدفع " يطلعوا مين اللي بتسأل عنهم؟ " أسرع معاونه يفك ألغاز العقدة . وبدأ هو يوضح معالمهم . فوجئ بخيبة الأمل تنهال داخله ورحت أنا أتذكر كارثتي .. منذ ثمانية أعوام جاءني صديق يبشرني بقدوم رئيس جديد لإدارتنا . ولم ينس أن يضع في أذني حفنة معلومات تشير لطريقته العجفاء في إدارة العمل . استأت وانصرفت وفي الصباح استقبلناه أسفل مظلته البيضاء . يلهث خلف شاربه الأثري . تحجبه عنا نظارته السوداء . تساعده على رؤيتنا وتمنعنا من رؤيته . تمني لو أن لأذنيه جهاز إنصات يبثه لينقل له همساتنا . التصقنا بجواره رغم ضيق المكان . فرض علينا لعبة الكراسي الموسيقية . قبض على الزمام . حطم قارب الشورى . زج بأنفه داخل اسطوانة الأكسجين يعب منها لا يهمه حياة الآخرين . اشرأبت كل هواجسه تصنع من رأيه قانوناً . قميصه الصبياني أصابه الهزيان . عقارب ساعته أفرغت سمومها داخل أتونه المتقد . وعند ملتقى الطرق . تفرعت أذنابها واستوحشت تقرع طبول الموت . قبل الانصراف بعشر دقائق ، لملم أوراقه وأقلامه ومن بينهم استغاثتي . نظرت إليه . هز رأسه وغادر المكتب وعلى فمه ابتسامة النصر والنفاق . منذ الصباح أطلقها على مسامعي أمام زملائي ثم أعقبها برغبته في تحقيقها لي في نهاية العمل . لم أضيع الفرصة . أخرجت الورقة والقلم ووضعت رغبتي في النقل إلي قسم أخر أمامه . ذوي الورقة جانباً . وخلق لي أعمالاً لم أكن أتوقعها . أعلن على الملأ أنه لم يفطر منذ البارحة . تقدمت بعض الموظفات بوضع قطع من الكيك ، وبعد انتهائي من كل الأعمال . وجدته يدفن استغاثتي . تذكرت حيرتي الأولي . حتى زارني صديقي ذات يوم متسائلاً "- أي خدمة من القائد الأعلى ؟ سألت " انت مالي ايدك منه ؟ أجابني :- رقبته في ايدي ! ... نوهت له عن رغبتي .. قال : أكتب طلب وهاجي بعد شوية هاخده .. قلت:- الطلب جاهز . خده ... بعد ثوان . وجدت العبارة التي لم أر النوم بسبب هروبها ، أخذت لها منظراً للذكري . سلمتها للمختص وانتظرت . فاجأني الكثيرون بقولهم :- لن تحصل على ما تريد إلا بالظرف المغلق . تذكرت حديث الراشي والمرتشي . جاءني الخبر بإحالة المرتشي إلي المعاش . لم أمتلك حينئذ إلا أن أقرأ الفاتحة . بعد عدة أيام قابلني القائد العام يسألني عن أناس لم أعرفهم . نظرت حولي لم أجد سواي . عرفت أن القربة مثقوبة . والقارب بدون مجداف .

" تمت "

الهارب

قبيل رحيل القرص الأرجواني . رأيته قادماً من فوق التبة . انعطف ناحية كانتين الحزب . أشعل سيجارة . دخل الكهف . خرج كمن لسعه عقرب . انصرف وتركني في حيرتي . نظرت في ساعتي . وجدت العقرب الصغير يخرج لسانه ، وشقيقه الأكبر يستحلفه بان يتوقف . شلت الأزمة تفكيري . فما حدث سيدخلني السجن لا محالة .. منك لله يا عبد السلام . واستعدت ما حدث . كنت حارساً على البوابة الرئيسية للحزب . أوزع التحيات لكل النجوم والنسور والسيوف العابرة . والتي كانت تبرق تحت أشعة مايو المحرقة . احتميت بدهليز ضيق أمام باب الحجرة القابعة في مواجهتي . سمعت دندنة خفيفة لصوت غريب لم آلفه من قبل " سواح وأنا ماشي ليالي " . قلت :- ربما كان صاحب هذا الصوت في إجازة . تركت الدهليز ، ووقفت بجوار البوابة . لمحت سيارة يعتليها صندوق ضخم ، وفي طريقها نحو منتصف الحجرة . حدثتني نفسي بوساوس شتي . ربما يكون ما أراه تدريباً حياً . أو اغتيال للذي يتسوح ويمشي الليالي . هاهي السيارة تشج الحجرة نصفين ، انبلج منهما جسداً عارياً . اندفع مسرعاً كالطود لا يبغي من الحياة سوي حبل فقط . لم ينتبه لما هو فيه إلا وسط الحزب . أخيراً التصقت الجلاجل بالفضيحة . بدلت نوبتجيتي بأخرى . تسمرت أمام سجن الحزب . كل من بداخله قدمت لهم خدمات عن طريق ابن خالتي نائب قضاء الحزب . تقدم مني المتهم عبدالسلام وفي يده علية سمن فارغة . قال :- أنا رايح الجبل .. قلت :- لا تتأخر .. لمحته عيني واقفاً مع صاحب الدندنة الخفية . ثم اختفي بعدها في غفلة مني . بعد برهة . جاءني صاحب الدندنة مهرولاً يسألني :- فين المتهم عبدالسلام ؟ .. وجدتني أجيبه :- سيادتك اللي هربته .. أمرني غاضباً :- حط نفسك مكانه .. انصعت لأوامره . خلعت الطوق . بدلت القارب بلوح خشبي . دخلت الكهف . انتظر نائب الحزب (صاحب الدندنة) أشياء تعود عليها . لكن خاب ظنه . لمح أصحاب الكهف يحيوني على مائدة الكرم . فوقف يسبهم ويلعن أجدادهم . على اثر ذلك خرج زعيم المتهمين واضعاً يده اليمني بكل ثقلها على كتفه . وبعد ثرثره كلامية بينهما استغرقت تسع خطوات . فوجئت بالنائب يقول لي :- أخرج إلي حزبك .. رفضت بشدة . انصرف النائب خائب الظن ، ثم حضر قائده . ناداني وأمرني بمغادرة المكان . رفضت متوعداً :- الصباح رباح . رد القائد : النائب كان في إجازة وما يعرفكش .. قلت ساخراً :- يعني لو واحد غيري كان ادبس على العموم هاخرج . بس المتهم عبدالسلام لو مارجعش قبل شمس بكره ماتطلع أنا هابلغ نائب القضاء .. عند الفجر خرجت وبين أصابعي علبة صفيح فارغة . تترجرج فيها المياه . أحسست بمداعبتها لأظافري . أخذت مكاني فوق ربوة عالية . يلفني نسيم الفجر . وأخذت أرقب إيلاج النهار من بطن الليل. وبينما أنا كذلك أبصرت سرب من الطيور يزف المتهم عبدالسلام . وبجانبه نائب الحزب والهلع يدفعهما كالسيل الجارف . ابتسمت مع أول شعاع يقبل الكون . وحمدت الله أن ما حدث كان معي وليس مع غيري .

" تمت "

المغامر

أشار لي صاحب النجوم بالصعود إلي سطحه العلوي . كان الظلام مسيطراً بكل أطرافه فوق قطع الكون الأرضية . وكأنه يخاف عليها من تحررها السافر أمام الشمس . زحف القطار . شردت . أنتظر الفنار ومحطة عروس البحر . وكلني صــاحب النجوم الثلاثة بتدبير عشــرة من الأرواح أنا منهم . واشــترط قاهر يتهم ، ترك لي ورقة تحمل صــورة شــارعهم القابع في فيكتوريا . موعد اللقاء صــباحاً . أقحمت نفســي في مغامرة . كونت المجموعة كلها من صــعيد المنطقة . أخذنا مواقعنا بين المقاعد الزاحفة . عقارب الســاعة تشــير إلي العاشــرة ليلاً . صــعدنا إلي الطابق الثالث . طرقنا الباب . رجل في العقد السادس ينقل نظراته بيننا . عرفته بهويتنا ومهمتنا . سأل : كلكم من الصعيد ؟ـــ أيوه .. كاد يطردنا بغلقة الباب في وجوهنا ليريح رأسه .. لكنه تراجع أمام أنفاسنا ولهثنا وتجمهرنا وتزحزح ودخلنا وركعنا نفك وثاق أحزيتنا الثقيلة . جلســـنا على الأرائك . وبينما كنا نتحســـس بطوننا الخاوية ، امتثل أمامنا صاحب الجسد البدين يطل علينا من أسفل عينيه الصغيرتين . يتراقص شاربه الكث في كبرياء . قال بعد أن أفرغ الثلاجة من كل محتوياتها أمامنا . وبعد جمع ملابســه وملابس ابنه الوحيد بجوارنا :- " التعيين والمهمات يا ولاد . كلوا وبعدين غيروا عشـــان ترتاحوا " . وأكلنا وغيرنا . بعدها انفرج الباب عن صـاحب النجوم الذي قال مرحباً ومتسـائلاً ومندهشـاً ناضـحاً فمه عن ابتسـامة باهتة :- حمد لله على سلامتكم ياولاد . انتم عملتم كتيبة هنا ولا إيه ؟. تسللت بقع من السحب . حجبت النجوم المعلقة في الفضــاء وارتطمت حبات المطر صــريعة فوق النافذة . تمددنا نفك ســلاســل ظهورنا . اســتخدمنا قاعدة العرض . واتخذت النجوم من مجرتها مرصداً . لم يصمد السرير أمام أوزاننا وأحجامنا . تحركت النجوم في مسارها . تستكشف مصدر الزلزال . جمعنا المحتويات الصريعة وألقينا بأثقالنا فوق سجادة وثيرة . والنوم يتنافس على غلق أجفاننا .. هل الصباح وخرجنا لمهمتنا . أخذنا مواقعنا بجوار الأجهزة . انطلق القطار زاحفاً وسط الحقول والأشجار وحبات القمح داخل غطائها الرقيق تتمايل فوق سنابلها وكأنها تحيينا . لويت رأسـي ناحية النجوم المرصوصـة أمامي . وجدت فضـاء الثلاجة . وحطام السرير وقتل الرغبة المصرية ، والسـباحة في نهر الوادي تجسـدت في صـورة سـلاسـل معقدة . تمددت بطول قارب مازالت أشجاره تصنع داخل جزر ليس لي فيها رفيق .

" تمت "

مؤامرة

أشـنفت أذني لاسـتغاثة عوراء ضـلت الطريق . ندمت بعدها ندماً مازالت كواعيه تدوي في أعماقي . قذفت بجسـدي وسـط الحافلة . منذ أن وطدت علاقتي برمسـيس وأنا في سـباق مع الزمن . عشـرات الأنوف اسـتنفذت الأكسـجين ولم تبخل بأجولة الكربون المنهدرة في انسـياب ملحوظ . حاول بعضـها الهروب والانتحار . لكن مخالب الصـفحات الناعمة سـلبتها إرادتها وأردتها صـريعة على الفور تاركة طبقة رقيقة من بقاياها لحجب الرؤى عن أجســاد تمتطي إطارات ملتوية داخل حجرات من صــفيح تحركها بعض قطع من حديد وقليل من النفط . اســتســلمت لســراســيب اللزوجة أبحث عن جعبة الابتسامات لأستعير واحدة . نبهتني الحاسة السادسة بوقوع كارثة بعد قليل ، تعرضت أصابع قدماي لاقتحامات غير مدروســة . مازالت الطبول تقرع والزغاريد تتلى في دوائر مموجة محشــوة بتهاني العروسـين . وفرحة أختي بليلة زفافها لم ينقصـها سـوى وجودي . حضـنها الدافئ مازال متشـبسـاً بملابســي الملكية . رغم أنها لم تنس أن تترك طيفها وأنفاســها فوق ملابســي الميري الملفوفة داخل جريدتي المفضـلة كأنها تقول : عشـان لما تلبس الميري تفتكرني .. توقفت الحافلة . شـرخت الظلام بجسـدي . استغاثة تدنو مني شـيئاً فشـيئاً :– ونبي يا دفعة . انا مش عارف مركز التدريب منين ؟ . دنوت منه وقلت سـاخراً : ايه يابني . انت مش عارف الكتتان ولا ايه ؟!. انت صـغير ؟!.. وعلى غير موعد . شـل البرق رؤياي وتسـمرت قدماي وسـط صـحراء الحيرة . وانقطعت حبال الوعي . ظننت أن السائق حديث العهد بالقيادة . قمت بسبه :– مش تاخذ بالك يا أعمى . كشف المستغيث عن هويته . فقد كان النســر يحلق فوق كتفيه مغتبطاً بعبق الخديعة . في هذه القطعة الفاصــلة من الفضــاء . انتظرت من الأبراج المزروعة همســها الذي تعودته منها . لكني وجدت رءوســها منكســة على غير عادتها . ملابسـي الملكية لم تشـفع لي والطريق فوقي إعلان فاضـح . برزت ملابسـي الميري من بين مئات الكلمات . والصـور تئن من عصـر ضـلوعها . فكان ذلك إيذاناً بكشـف المسـتور . عزمت على الفرار والإفلات . لكن لم أجد سوى مضيق سعته خصر قد شيد من أجلي . عبرته وصعدت إلى حجرة مظلمة . وانتقلت بصــيرتي إلى أصــابعي أما عيني فد فقدت خاصــيتها . قمت على الفور أســتبدل ملابسي لمواجهة أعاصير مازال البرق ينذر بوقوعها .

" **تمـت** "

دماء على وشك الانفجار

" إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة " . صدق الله العظيم .

أخذ إبراهيم سالم يردد هذه الكلمات النورانية ويتأملها . صنع من حروفها أجنحة وألصقها بجسده . هام سابحاً في الهواء . تارة يرتفع فوق السحاب . وتارة أخرى يغلق عينيه على ماضيه الذي ولى وحاضره الكئيب ومستقبله الذي هو بصدده الآن . يريد أن يشيد له تفاصيلاً . أحس بأنه لا شئ في هذا الوجود . وطنه الصغير تحول منذ بضع سنين إلى ثرى . مطاره الآن هو أربعة جدران . سجن لكن بدون سجان . يخرج إلى عمله في الإذاعة . يتكرر صوته في الهواء . من خلال برنامج بعيداً عن رائحة البارود والنيران . منذ أن هرع هو وزوجته وابنه إلى العريش بسبب الوعد المشئوم . وهو يشعر بقميص الجبن داخله يهترىء . ملوحاً له بأن النكوص عن باحة الجنة جريمة تتجسم في صورة ثعبان أحمق يفرغ سمومه في أي اتجاه وفي غير موعد . لم يصدق قميصه حينذاك إلا عندما رطمته النكسة . خرج يبحث عن زوجته وولده . حملته أجنحته فوق السحاب الثائرة المفعمة بأرواح الشهداء . أحس بلظاها يفور . لم يشعر بنفسه إلا وهو على مقاعد مقهى السلطانة . وجدها منكسة رءوسها . خزان الجلاس اليتيم قابع فوق المرحاض يرتدي ثوب الحداد . نظر ناحية المنحدر المواجه للمقهى . أحس أن دقات قلبه لم يبق فيها إلا واحدة . زوجته وابنه وأرواح أجساد أخرى يلوحون له من أمام رشاش الموت . ويبدو أن نيران عينه نبهت الفتاة الإسرائيلية إلى وجوده . اختبأ وراء الجدار ليرتدي ملابس الشهادة . في طرفة عين انتقل الرشاش ليده . وجثة الفتاة داخل عينه الوحيدة . ترسل صرخاتها إلى بلفور وأعوانه . حصد الأوغاد جميعاً وهو يبكي ويبتسم . انتقل إلى حجرته . توضأ . تأمل معاني الفاتحة التي يقرؤها والتحيات التي ينهي بها ركعاته بعدها . تنبه إلى نشرة التاسعة مساءاً .

" **تمت** ".

الهروب

قال لي :- أمامك نصف ساعة . لو ماجيتش . هاحاسبك . انصرفت من أمامه . وأنا أضمر في نفسي أشياء . قررت الانفصال عن كوكبه الهلامي . كل يوم ينظر في ساعته محدداً إقامتي . ألم يكفه تحديد إقامتي قبل وجودي . وفي كل الشرائح الزمنية اللاحقة حتى لحظة عملي معه ؟!. مسح المقاعد . لم يجد الإدارية . ناولني خطاب مصاب بجرح في أعلاه . قائلاً : خد صورة . توجهت إلى مكتب مجاور . قال المسئول : معلش أصل مفيش ورق . لم أيأس . حاولت . فشلت . ثم انصرفت للهبوط . فالموعد محدد . وسيطر على ذهني ما سمعت من حوار ماجن . نظراته وأوامره أطاحت بجميع الإداريات اللاتي عملن في دائرته من النافذة الخلفية . تكومت الأوراق الإدارية الأخيرة انتصار فلتت من شبكة صغيرة الثقوب لأنها لجأت لمديتي . ولما اكتشف هو ذلك . اتهمني بالقصور قائلاً :- طالما إنت السبب ، يبقى تعمل شغلها . رفضت . الهوة عميقة بين ما يطلب وما يريده أن يكون . انتفض مذعوراً ثم انصرف . مازلت أبحث عن ماكينة تصوير . مددت رقبتي لساعة الميدان وكدت أسألها . ذكرني أنينها بمرضها منذ فترة . دعوت لها بالشفاء ثم واصلت البحث . فشلت . صعدت الدرج . نظر في ساعته كالعادة . لم ينبث ببنت شفة . طلبت منه ورق تصوير . أقحمني في بحر من استفهامات . أحسست بالغرق . انصرفت ، أنقب على المستحيل . مازالت الأصوات العالية تغزو أذني . أخيراً . اجتمعوا على إجراء قرعة . ارتفع الصراخ . أغمي عليها ، لأنها كانت تتمنى أن تخسر . أغرقنها بدلو ماء . رفعنها . جهزوا التابوت وبعض أوراق الصبار واتشحن بالسواد وأطلقن حناجرهن للندب . ثم عبرن بها من أسفل نفق التخطيط . وقفن أمام المصعد . اكتشفن أن التيار في إجازة . أصرت كل من فاطمة ومنال وسحر وهدى وحورية ألا يتركن شيرين إلا بعد رجوع التيار . أحضرت ثلاث ورقات وفككت اللغز . وقفت أمام صانعي القرار . قال أحدهم : إيه المطلوب ؟ .. قلت : أريد طائرة تعينني على الدوران حول الكوكب . قال : كيف تريد طائرة في نفس اليوم ؟ . لابد أن ترسل برقية عن طريق فلكها الخاص بها . لا تتعجلها . وجدته يقوم بذبح الورقات الثلاثة . أغمضت عيني حتى لا أرى سيول مدادهن الأزرق .

" **تمت** "

صندوق النذور

طلب منه والده أن يقرأ الفاتحة في السـيد البدوي . حمله أمانة إليه . يومها سـأله . ما السـبب ؟ لم يجد على شـفتيه إجابة . لكن رأى في عينيه مئات الأسـباب . تذكر درج السـيارة الحديدية الضـخمة عندما لفظه أسـفلها وهو يصـفق بكلتا يديه . أغمض جفنيه على هذه الحادثة التي سـجلت له عمر آخر . تذكر عضـويته في تشـكيل عصـابي مع زملائه لسـرقة ثمار الفاكهة من فوق حبالها . قفزوا كالقرود . يأكلون ويملئون جيوبهم ويحشـرون ما يقدرون عليه في صـدروهم . وفجأة برزت بطارية تبث نهارها . منهم من تعلق من قفاه . ومنهم من جرح وأفلت . أما هو فقد بلعته بئر مكشـوفة . سـاعده طوله في أن يعلق أنفه في الهواء . كتم أنفاسـه ومداد البئر ينذره بالموت . تحركت البطارية. تحامل على عضديه وكأنه في موقعة حربية .. تذكر عبوره الطريق متعجلاً وانحشاره بين أتوبيسين . وقفزه فوق السلسلة التي أظهرت صبابتها . جاءه صوت : حاسب . حاسب . لمح صديقه يتمتم بالفاتحة . أما هو فقد نادى صاحب الكون . تذكر عندما صعد الخمسة أدوار . وقذفة المسلة والثقوب التي لم تكتمل من اقرب نافذة . لحظتئذ سـألها بأدب :– لو سـمحت فيه عندك بطاقة صـحية باسـم سـامر فخر الدين ؟.. لم تلتفت لأدبه ، وأطاحت بميزان وقاره واسـتجدائه ، رغم تكرار المحاولات . انتفض الذكر الوحيد في المكان . ينفض ريشـه ناقراً على كتفيه . كان يظن أن صـورته على هذا الوضع ستملأ عينيه .. قال له :– حاسبني على المواصلات وأنا هاجي في الميعاد الجديد . التفت . وجد الفتاة وقد تكومت على درجات السـلم . تقطع شـرائح من أشـجار الكافور لتوصـلها إلى البحيرة الخلفية . ورأى المنقار يصافحه بالأوراق الصحية . بعدها تنفس الصعداء . وهبط الدرج لاعناً الروتين . ثم نظر إلى الفتاة يدثرها بعين الشفقة . تحسس جيبه فتذكر صندوق النذور . شد رحاله إلى السيد البدوي وهو يترنم بالفاتحة .

" تمت "

الأمانة

ابتسـم كالطفل وهو يداعب خيوط الصـباح من خلال المرآة . جلبابه الأبيض ولحيته العتيقة بمثابة شموس تشطر له ظلام الطريق إلى محرابه . تنتابه انتفاضات التسبيح ، ورعشات الفناء المنتظر . ذبذبات شهقاته تهتز فوق قربة بطنه وتستمر دون ملل حتى تصل إلى محطة السكينة . بعدها يخرج منديله المحلاوي ليشاركه رحلة تأمله . تذكر صديقه الذي تركه في قاهرة المعز . امتثل أمامه . جسده الممشوق . ورأسه الطويلة الملفوفة بآلاف الشعيرات . استمع إلى نقرات حوافره ذات اللحن البديع . أمتع اللحظات عندما كان يسلط رشاش الماء عليه . كان يلتمس منه الوفاء . حوار مفتوح بينهما . ابتسـم عندما كان يتبختر فوق ظهر صـديقه في إحدى الحواري . لمح حقيبة جلدية ، حبلى بجوار الطوار . تناولها . اندهش . لم يصـدق تكوينات هذا الجنين العجيب . احتفظ به لليوم التالي . في نفس الموعد وفي نفس المكان ، وجد سيدة تلطم خديها بالحذاء ، وتقطع بصرخاتها صفحات الليل . سألها وأجابته . استوضح كل معالم جنينها . أحس بمضاعفة دقات قلبه . بعد صلاة الضحى وختامه لمعظم الأوردة . لمح سحابات آتية من قارة بعيدة . برزت منها اللطمة الشهيرة . كان رابطاً صـديقه في نافذة المسـجد الحسـيني لتلبية نداء الظهر . وفي نفس موعد مرور رئيس الوردية الذي اقتحم الصفوف . تسبقه زفراته التي كادت تحرق كل من يمر بجواره . رفع يده وانهال بأقصى ما يمتلك من قوة على وجه الرقيب المتعبد . بعدها انطلقت صـرخته . اصـطدمت بالأعمدة . ختم الشـيخ الرقيب صلاته . ومال عليه أحد المصلين يسأله :- " هو فيه إيه ؟!- إنت بتسأل على إيه ؟ .. – فيه راجل ضربك وانت بتصلي . بعدها شالوه . – ضربني أنا . إزاي الكلام ده ؟!.. امتطي الشيخ الرقيب صهوة صديقه ، مواصلاً ضبط موازين الأمن في ربوع الشارع القاهري .. في اليوم التالي . كان الخبر بدون نقود . طلبوا منه السماح . خصص زيارة لليد المشلولة . اقتربت الصخرة المسدودة . حزم أمتعته . كل ما يمتلكه من ضـروريات الحياة . إناء نحاس . آذان الجمعة يدوي في أعماقه . تسـاقطت عليه خيوط الماء . أحس بثقل . تناول المرآة . رأى الورقة اليابسـة . طلب من ابنه كوب ماء قائلاً :- خد بالك من العيال . وضع رأسه فوق الوسادة . وعيناه تسبحان داخل الصندوق الأخضر . وفي الطريق غسلته السماء . وسط صهيل جواده وجلبابه الأبيض ولحيته ذات العمر الطويل .

" **تمت** "

نارمر

طرق الباب " هو . هو . " مكثوا طيلة النهار ينتظرونه . كاد يولي ظهره ويقفز . لحقه (عوام) قبل امتداد ساقيه . قال له :- إحنا مستنيينك . وفي الآخر عايز تهرب ؟!. إنصاع للدهليز الممتد في خنوع . لم يعر أباه اهتماماً . جلست القلوب تتنهد . والقرائح تنضح بمياه جوفية تنتظر تفتق باحاتها عن سيل جارف . تركهم (عوام) يتحاورون ويتناورون . وطفر يبحلق في القبة السماوية الممتدة على الحائط ، والسرادقات القائمة حتى آخر الأعمدة الخرسانية . تذكر اللقاء الأخير عندما ألقى عليه التحية داخل الحافلة ، أبدى استياءه من بين جموع الواقفين . زم حاجبيه . قفز من أعلى الرؤوس . لم يبق سوى سنتيمتر ويقضم أذنه . همس " لا تقل صباح الخير قل السلام عليكم " . من يومها وتيقن أنه وقع ولم يسم عليه أحد . قابل (عوام) أباه عدة مرات وهو يلهث وراءه في الحارات . حاملاً لافتة الصبر على الوجه الأول . وصراخ أمه على الوجه الآخر . سأله عنه ، أجابه :- " لا تقلق إنه داخل لوحة نارمر " لم يكمل الرجل .ذهب إلى حجرة ابنه الراقدة وسط عشرات الحجرات . انعقد لسانه . فوجئ بلحية غريبة وحطام مذياع وجدران جرداء ... سأل اللحية :- اين ابني ؟ . – إنشاء الله راح مشوار .. – هايغيب ؟ – إنشاء الله مش عارف .. قال :- إنشاء الله هاضربك ... وفوجئت اللحية بنزعها . حين زاره عوام في حجرته عثر في عينيه على إصرار . لا تراجع فيه . حلت به الدهشة . لم يجد أمامه سوى اختلاق أسباب للهروب ، قبل طعنة بدبابته التي اشرأبت جنازيرها من ثنايا ملابسه ، في لهجة تنم على تعجله بإهدار دمه . قال :- المنظمة انتظرتك . وانت أهملتها من خلال مهلتها . رغم كشفك لسرها . توقفت أنفاسه للحظات . فتح المزلاج . وفي ثوان حاصرته استفهامات . عصبوا عينيه . سحبوا الدبابة . استرد ذاكرته . أفاق على تلاوة قرارات دموية قذف بها الابن في حجر أبيه وأحدثت في أذنيه دوياً لم يعهده في عالم الأحياء .

" **تمت** "

الميراث

صـفعتها على وجهها السـمين . غاصـت يديها في لحمها السـافر . أطبقت يدها على مئات الشـعيرات وجذبتها من سوتيانها . تحاول جاهدة مرمغتها في التراب . لم يبق على المطلوب سوى بضع خطوات . أطلقت في وجهها شحنات زفيرها . وانتبهت إلى الولولات الصادرة من أعماق اليم :– منك لله يا أمل . انت السبب .. قالتها سعاد حسين بعدما تلاشى شبح ابنتها بعيداً . لم تستطع إحجام آلاف الكلمات عن مساسها . استماتت في سد كل مسامعها . فشلت .فوضت أمرها لله . اكتفت بسموم نظراتها تبثها في حلق الجالسة أمامها . ودت أن تكتم أنفاسها . وتقطع لسانها . ازدادت الثورة اشتعالاً تذكرت سعاد حسـين خيبة أملها في ابنها الذي أسكن مكانته في غير محلها . منذ أن حكى لها عن زوجته الافعى ، وقلبها مقبوض . وعندما غادر البلاد . لم تتوقف دموعها . سبقته الدولارات . ثم تجسمت إلى قطع خشـبية . وليلة زفاف لم يحضـرها جذر وجوده السـاكن في أعماق الأرض . نمت السـموم ونشـعت واحتلت الأرض بعمر ابنتها الكبرى . لم تغادرها إلا بعد خرابها . جاءت بعدها تلطم الحائط . قائلة :– " حقي . حقي " . دفعها لذلك . هوايتها المفضلة في الصعود إلى الشواشي لترصد من يتجرأ على شق السـاق المؤدي إليها . وجدت هوايتها تدنس بالعمار . جسـر علمها يمتد من العين السـحرية . وأذن الجدار المشـترك والهاتف . تجنيد صـاحبة الوجه السـمين رقد فوق الطبطاب . لم تتحمل سـعاد رؤية تفلطحه وانبعاجه . وحشـوة البارود التي تتصـدره. أرادت فثئه بعيداً عن الأرض . لكنها لمحت شـرارة الغباء تعانق جسر التوصيل من خلال طمسها بكفها للوجه السمين .

" **تمت** "

بين السماء والأرض

وجد نفسه يتأرجح وسط الضباب . لا يعرف أين ومتى وقع فيه . " يا للهول " !! . قالها دون أن تنبث بها شفتاه . جوارحه تنتفض . لسانه فقد التعبير . عيناه زاغتا في كل اتجاه . تساءل : هل هذا قبر ؟!. وإن كان كذلك فلماذا يتحرك ؟! هل هذا حلم ؟ . وإن كان كذلك . فلماذا أرى ما أراه ؟ .. فقد السيطرة على جسده . وكأنه في سفينة فضائية عبرت حواجز الجاذبية . ترك العنان لجسده يتكور ويطول ويقصر ويتثلث ويتربع . أغمض عينيه واستسلم بعدما أرهقه التفكير . استقر به الأمر داخل حارة ضيقة . أحكم جسده من الانزلاق . ارتاح . هدأت أنفاسه . توالت على رأسه اللحظات الأخيرة . فوق كوكب الأرض تذكر الزنديق الذي كان يراجعه في كل كلمة . اخترق الجماجم . وجدها قلاعاً محصنة بأسوارها ، التي تناطح السحاب .. قفز بجواده من فوق جميع الخنادق . كاد يسقط في إحداها لولا تعلقه بصهوة حياة جديدة . عثر عليها وهي تغدو تروح في الفراغ الفاصل بين الجسرين . انتظرته وكأنها على موعد معه . انتشلته وسلمته الدفة مرة أخرى لوح بقلوب بكر ، أنتج من القطن أعلاماً . ولم يشأ أن يعكرها بأي لون آخر . وصنع سيوفاً لغمدها في صدر إبليس وما وراءه من جيوش . لم يتوقع النهاية . ولى ظهره وانصرف صوب الشاطئ . امتطي ظهر اللوح الخشبي . بحث عن أنفاسه . وجدها مبعثرة بدون هوية . قفز بعضها متشبساً لاهياً بملايين قطرات الماء المداعبة لجسم اللوح الخشبي غير مقدر لعواقب المغامرة . أعلن الجميع هجوم الموت . رفعوا الرايات والفنارات . ولم ينسوا العلم الأسود . قرر كبيرهم تضحية أحدهم ، والورقة الرابحة هي القرعة . أعادوها عدة مرات . هو . هو . صاحب الضباب .. لم يتردد . تمتم بالشهادة . أغمض عينيه ثم فتحهما ليملأهما بالدنيا قبل رحيله . لم يستمر طويلاً حفاظاً على رفقاء الحلة . وما كاد يرفع نفسه حتى وجد مخلوقاً جلدياً يشق صفحة اليم كالبرق . تتقدمه فتحة في اتساع حجرة . حول حافتها انعقد صدف أبيض كأنه مصابيح تحتفي بقدومه . لم يشعر بنفسه إلا وهو يتأرجح داخل عتمة هلامية . لا يخشى من خبطاتها بقدر ما هو فزع من سبب وجوده فيها . تجمد لسانه . لم تهدا أنفاسه إلا عند استرجاع لحظاته الأخيرة ورؤيته لبصيص ضوء ، نفذ إليه . يدعوه من جديد للتحليق بين السماء والأرض .

" تمت "

الجلباب التائه

تسابق الناس منذ الصباح صوب محطة القطار . وما إن رأوا الأنباء تطل برأسها حتى انقضوا عليها يتخاطفونها . يلتهمون سطورها ، ويتذوقون مصداقيتها . أما صاحب الأنباء فراح يبحث عن جلبابه بين أصابع الثوار . وحمد الله على ارتداء سرواله اليتيم الطويل في هذا اليوم . انتهى أئمة المساجد من صلاة الجمعة وامتلأت المسالك بآلاف السيقان والعيون والقلوب النابضة الهابطة من أعلى الجبل . وفي غمضة عين طار جهاز بشري وارتطم بالأرض . أثارهم بحر الدم المفقود . تساءلوا ونظروا في جميع الاتجاهات . وجدوه يلوح بالنيران من فوق حصن اعتقد أن دستوريته ستلبسه ثوب الحصانة . تقاربت الدوائر تبحث عن أسباب انفجار الدم . لم تجد سوى رصاصة فارغة ألقت بشحنتها واستقرت وسط الركام . تساءلوا عن أسباب الرصاصات الأخرى التي اخترقت كل الحدود الجغرافية . عرفوا أن جهاز بشري آخر سكن إحداها وهو الآن مسجي داخل الحصن . كل جريمته كلمة بيضاء عكرت صفو قلب صاحب الرصاصات .. شمر الثأر عن طاقته البركانية . فريق اتخذ من الإطارات قنابل موقوتة تنحدر في يسر وسهولة . وفريق اخترق الحواجز يقذف بمحتويات رئيس الحصن ، فيتدلى معظمه بين الأسلاك مستسلماً لعيون الهواة والمراهقين . رهط من الصبية عبثوا في مزلاج مخزن الحصن ولم يندموا . ملأوا بطونهم باللحوم الحمراء . لم ينس الجزارون هوايتهم . مارسوها في دهاء وخفة . وانقطعت الكهرباء وتبخر المداد . وازدادت الفرقعات . حلقت الأرواح بين الرفاق تنادي . ضاع الصوت رويداً رويداً مع انتهاء آخر فتيلة لشمعة يتيمة . لم ينتظروا غروبها . وبينما يتطلع الثوار بين السطور . وجدوا حبلاً من دروع بشرية تطوقهم . ينصبون شباكاً فوق آخر أمل . يزجون برءوسهم داخل الأرحام . ويبقرون باطن الأرض لمحاسبة الموتى . يتطلعون إلى الحدود الجغرافية في شغف ينتظرون الأوامر لابتلاع المزارع والهضاب . يوسعون بطونهم لازدراد حريات لم تزل تنبض . تكالبت الصناديق الحديدية . ازدادت الغشاوات داخل دوائر الرؤى . وسط فرقعات مدوية بعيدة عن بطون الثلاجات استقبلتها حبات الثرى توزع أريجها بين حدائق أعدت وسط حياة جديدة . وسر صاحب الأنباء بجلبابه التائه . فابتاع سروالين تحسباً لأية هجوم .

" **تمت** "

الدولة الجديدة

إلتهمته بأنياب عواطفها . تألم في صمت . تخاذلت أحزانه ، وشجبت واستنكرت كل الطعنات . تركته آهاته شـــارداً وقفزت من النافذة المجاورة . لم تهاب المســـاقط . تعودت على الطيران في أي أجواء وتحت أية ظروف . تململ في وقفته . تلون وجهه بلون لهيب أبيض مخنوق بالاحمرار . بحث عن آهاته ، جمعها في سلة زفراته بجوار عقده السادس . ثم هبط الدرج بعد أن سرق طيفها بعقده الرابع . تذكر دولته الثانية التي كرهت خريفه المندفع للأمام . فشـــل في تعمير صـــحرائه رغم امتلاء خزائنه بمداد الحياة التي ماتت داخله . حاول إعادة المفاوضـــات عدة مرات . لكن الأشـــقاء تطاولوا وأصـــروا على دفن حياته في بئر التعنت . استسلم . رفع الراية .. تذكر دولته الأولى . أحس باختناق ودوار . شعر بقلبه يعتصر وبمرتبه الضئيل يتهاوى في جيبها . لم ترحم حصون العشرة ولحظات تكسير القيود سوياً . صراخها المستمر تبثه في أذنيه معظم الليل وأطراف النهار كعلاج للصعود والسطوة والسادية . ثوراتها اليومية المشـــوبة بالحذر قلبت موازين ما كان يشـــيده . مناوراتها التي لا تنقطع أحدثت داخله شـــرخاً يحتاج لالتئامه وقتاً طويلاً . عبرت كل الخطوط الحمراء والخضـــراء . لم تترك لوناً صـــافياً إلا وبهتته . الدول المجاورة عقدت معاهدات كثيرة ومؤتمرات لا تحصـــــى . لكن لا يجرؤ أحد على تناول البند الســـابع عشـــر . احتضـــن ابنه وقبل ابنته . ألقمها بقايا حطام من حنان كان يدخره لهما . حتى كانت القطيعة الكبرى . شمرت عن ساعديها وساقيها . ونفخت في جلد يديها . حددت لها هدفاً وشعاراً . أنت من أقدامها ساحات المحاكم . نجحت بكل المقاييس . تحول بذهنه إلى الجمرات فوجدها تنطفئ قبل تحويلها إلى رماد . هنا عرف السبب . بحث في جيوب نفسه فلم يجد حلاً بديلاً سوى الاستسلام . ودع دولته الثانية وشـــعبها . وتطلع لبناء دولة جديدة . لكن في هذه المرة أعد ما اســـتطاع من قوة ، لمواجهة ضروب وحواجز وأسلحة القوى المضادة . سلك طريق العطارين . وشيد برجاً لتربية الحمام . وأنشأ مزرعة وأنابيب لتخزين الفسفور والأقراص الزرقاء . تحسس أنابيب عواطفه . لمح دولة جديدة تعرض عليه قيادتها . فحص طيفها المســـروق وعقدها الرابع . فاطمأن إلى بداية رحلة يصـــاحبها التطبيع .

" **تمت** "

خندق الحرمان

أطلت برأسـها تبحث عنه . جزأت أعضـاء ها وأمرتها بألا تعود إلا بعد العثور عليه . أما قلبها فدسـته بين كفيها . حرصت ألا تضغط عليه حتى لا يختنق . وخشيت من رفق أصابعها عليه فيسقط بلا رجعة ، بصيص من الأمل يناوشها . وكثير من رجفات الخيبة تنتفض داخل جلدها . تعددت أحلامها . لهثت وراء ها ومازالت تبحث عن أطرافها . مسحت أدوار المصلحة الثلاثة ، جيئة وذهاباً .صعوداً وهبوطاً . لم تعر اهتماماً لأسراب النظرات وجحافل لسعاتها . قالت لنفسها . " آن الأوان لكسر جدران الحياء " . تكومت فوق المقعد ، تندب حظ جهازها المعطل .. ورحلت بذاكرتها تعتصـــر ندماً على جمالها الذي أوقعها في خندق الحرمان . لم تنس غرورها وغطرســـتها وشـــروطها فوق كاهل وهم اندحر من أول وهلة . تبخرت كل ابتساماتها . اختلطت أحزانها بغشاوة عقيمة . أصرت بعدها أن تحجب نفسـها عن العالم . شـــيدت حاجزاً من الصـــمت . تركت العنان لعيونها تقتحم ما بيدهم الأمر . وهي لا تدري أن عقدها الثالث يقفز في تعجل . وأن ما وارته عن العيون لابد وأن يعرض مرات ومرات . وقفت عند مدخل الحلبة تستعد للقبض على لجام عقدها الزاحف بلا وعي .. عندما تلقفها اليهود كالكرة ، صرخت وركلتهم وبصقت في سحنتهم . لكن كل محاولاتها راحت سدى ، فقد نفذوا مخططهم الأحمق . وقلبوا كل الأشياء . انتبهت لصرخات امرأة عبر الفضائيات تبحث عن دولتها الصغيرة تحت الأنقاض . عقدت المقارنات وقفزت تستلهم عمر آخر من خلال فضائياتها . بعدها نظرت في كفيها فلم تجد سوى خليط من نظرات . فسحقتها وتنهدت . صفحات صبرها نادتها بالمواجهة والاختراق . تهافتوا في البدايات . ثم تراجعوا في التفاصـــيل . لوحت بطعن الروتين وعرض القضـــية على مجلس الأمن . انكمشـــوا من شـــجاعتها . لاذوا بالفرار . لم ينتظروا القرارات . غفلت جرأتها ، اســـتعداداً لانطلاقات جديدة أحســـت بإشارات نبضها تشدها إلى جريمة . صرخات المرأة مازالت تذكرها بمذبحتها . ضاعفت من إطلالاتها . رتبت لاجتماعات دورية قالت لنفسـها " مازال للأمل بقية . وللعواطف البركانية حصـون " . وانسـاقت تكسر الصبر بمعاول الحرمان . وتحطم معابد الحياء بأريج نبضها الجديد . وهي حريصة كل الحرص على ألا ينزلق إصبعها عن مكان الثقب القديم . تحاول في شراسة ألا يتسع . فتضطر بعدها أن ترتدي ثوب الحداد .

" **تمت** "

الفهـرس

الأديب في سطــور

الاسم / صابر جمعة سعيد .

تاريخ الميلاد / ١٢/٨/١٩٥٧م .

مكان الميلاد / قسم الخليفة – القاهرة .

المهنة / مدير مدرسة الشريفات الإعدادية بمحافظة شمال سيناء .

التليفون / ٣٣٣٢١٨٤ / ٠٦٨ – ٣٣٣٥٤٠١ / ٠٦٨

محمول /

المؤهل / ليسانس آداب ١٩٧٩ – جامعة الإسكندرية .

نوع الكتابة / قصة قصيرة – رواية طويلة .

عنوان السكن / العريش – المساعيد – حي التحرير – عمارة (٥)

الجوائز / حاز الأديب على كثير من شهادات التقدير والجوائز من قصور ثقافة جمهورية مصر العربية وذلك لفوزه بالصـدارة في كتابة القصـة القصـيرة – حاز الأديب على شـهادة تقدير من السيد وزير الثقافة عام ١٩٧٧م .

الأعمال المنشورة / نشر له أكثر من مائتي قصة قصيرة في معظم الصحف المصرية والعربية